الرِحْلة - المغامرة رقم 2



2

القنّاصون

إبراهيم محمد

الرِحْلة



رِحْلة إلى حدود العالم.. لمعرفة الحقيقة
وَإجابة سؤال.. أكروية هي أم مسطحة؟

❖

رواية

القصَّابون

❖

الرِحْلة

رِحْلة إلى حدود العالم.. لمعرفة الحقيقة
وإجابة سؤال.. أكروية هي أم مسطحة؟

❖

تأليف

إبراهيم محمد



تصميم وإخراج

إبراهيم محمد





للتواصل مع المؤلف
Wordsonsnowtablet
Gmail | Facebook



تنبيه

■ هذا المؤَلَّف من قرِيحة مؤلِّفه، ولم يتم نقله أو اقتباسه من أي مصدر آخر.

■ أي تشابه بين الرواية وأحداث وشخصيات واقعية هو محض مصادفة.

■ لم يتم تدقيق هذه الرواية لغويًا

■ تم إنتاج الصور باستخدام برامج الذكاء الاصطناعي، وباستخدام كلمات عامة دون وصف دقيق.

الرِحْلة



رِحْلة إلى حدود العالم.. لمعرفة الحقيقة
وإجابة سؤال.. أكروية هي أم مسطحة؟

الرِحْلة

رِحْلة إلى حدود العالم.. لمعرفة الحقيقة
وإجابة سؤال.. أكروية هي أم مسطحة؟

2

القصّابون

تأليف

إبراهيم محمد



للتواصل مع المؤلف

wordsonsnowtablet@gmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة الأولى

هذه سلسلة مغامرات تقوم فكرتها على الاختلاف بين فريقين حول هيئة الأرض، فريق يؤمن بأنها كروية وهو الأكثرية الغالبة، ويشمل أكثرنا وكيف لا؟، وقد نشأنا مع هذه النظرية ودرسناها حتى كانت مُسلمة عندنا، والفريق الثاني يؤمن بأنها مسطحة على العموم لا تكوير فيها، وبدأ هذا الفريق صغيرا ولكن كثُر أتباعه حتى طفى على السطح وصار ظاهرا للعيان، ومعه برز الصراع بين الطرفين.

الفريق الأول يتهم الثاني بالجهل وإنكار الحقائق واستغلال الدين لبناء مفاهيم خاطئة والرجوع بالناس إلى عصور الجهل والتخلف، والفريق الثاني يتهم الأول بالكذب والخداع والتزوير ومحاربة الدين، وأن الأرض أكبر مما نعرفه ولكل حالة أو ظاهرة في عالمنا لها تفسير تبعا لقواعد الأرض المسطحة هو أفضل من التفسير المعتمد على كروية الأرض.

لأجل ذلك وجب من جانبي التنبيه على بعض الأمور الهامة:

- هذه السلسلة - إن كُتب لها النجاح والاستمرار- هي سلسلة مغامرات خيالية وليس بحثا علميا، رغم أننا سنذكر حجج وبراهين الطرفين، وسيتم ذكرها تبعا لمسار الرواية وأحداثها بشكل محدود ومختصر، دون أن تطغى على أحداث القصة أو تشغل حيزا كبيرا.

- لا أسعى في هذه السلسلة لترجيح طرف على طرف، بل ولن أسعى إلى دفع القارئ لتبني وجهة نظر فريق دون الآخر، وعلى القارئ أن يدرك أن حجج الطرفين ستظهر معا أو طرف دون الآخر تبعا لما تقتضيه أحداث الرواية، وظهور حجة طرف وحدها لا يعني عدم وجود بديل لها عند الطرف الآخر، فالبديل قد يكون في رواية تالية، فأنا اكتب رواية مغامرات وليس بحثا علميا.

- أول رواية من هذه السلسلة تحرص على إظهار أفكار المؤمنين بتسطح الأرض، من باب التعريف بهم فقط لمن لا يعلم عنهم ولا عن أفكارهم.

- يستشهد الفريقان بآيات من القرآن وأحاديث شريفة وغيرها من الأديان الأخرى، لكن يجب أن يعلم القارئ أن ما يرد على لسان شخصيات الرواية هو فهم الفريق المعني للنص الديني وليس تفسيرا قاطعا له.

- شخصيات الرواية من بلدان عدة وأعراق مختلفة، وهذا الأمر فرضته فكرة السلسلة، لكن الشخصيات تتصرف تبعا لطبيعتها البشرية الخاصة وليس تجسيدا لطبيعة أهل بلدها أو عِرقها، لذلك ليس من الانصاف تعميم سلوك الشخصية على قوميتها أو بلدها، سواء أكان السلوك محمودا أم مذموما، فهذه سلسلة مغامرات خيالية.

أرجو أن أكون أوضحت للقارئ ما قد يتسبب في سوء الفهم، وأتمنى له الاستمتاع بهذه السلسلة وأن يُكتب لها النجاح والاستمرار.

المقدمة الثانية

الأرض كروية يغطي الماء ثلثيها، ماذا؟ هناك من يقول هي مسطحة على العموم وأكبر مما تُظهره الخرائط!
هنا بدأ الجدال وأوشك أن يتحول إلى صراع، ولكن مهلا.. نحن في القرن الحادي والعشرين، حيث الطائرات التي تبلغ عنان السماء، وتقطع الأرض من مشارقها إلى مغاربها، والسفن العملاقة التي تمخر عباب البحر دون جهد ولا عناء.
لنقطع الشك باليقين وليأت كل فريق بثقاته، ونذهب سويا في رحلة حول الأرض، إن عدنا إلى نفس النقطة التي بدأنا منها فهي كروية ولا شك، وإلا فهي مسطحة وعلى من بطُلت حُجَّته أن يقبل النتائج ويقرها.
وجاءوا..
من كل حدب وصوب..
يحملون متاعهم..
يهربون من حاضرهم..
يخفون أسرارهم..
يدارون غاياتهم..
لتبدأ رحلة..
أغرب من الخيال..

إبراهيم محمد

ملخص الجزء السابق

كانت هناك مسابقة لأجل رحلة لمعرفة حقيقة الأرض، هل هي كروية أم مسطحة؟

وهناك شباب يحبون تلك الأشياء، منهم من اشترك في المسابقة هاربًا من واقعه ومنهم من اشترك ساعيًا لشيء ما.

التقى الفائزون في (مصر) ليجدوا أنَّ للمسابقة بقية، وهي هل في جماجمهم عقول تفكر أم طبق مُهَلَّبِيَّة؟

باختصار كان في جماجمهم عقول، لذلك وجدوا أنفسهم في جبال البحر الأحمر، وهناك وجدوا أشياءً غامضة.. كثيرة.. أصوات رصاص.. مروحية.. عظام بشرية مُلقاة.. ذئب جائع..

وأنتهى الجزء السابق كالتالي:

- عاصم، ذهب ليعرف مصدر الرصاص والمروحية.. لا يُعرف مصيره..
- عُمر، تَبِع (عاصم)، ويقول (حذيفة) أنَّه رآه يسقط قتيلًا..
- حُذيفة، تَبِع (عُمر) ورآه يسقط قتيلًا، فعاد مسرعًا ليخبر الآخرين..

- **الدكتور (مختار) و(فتحي) يقفان أمام كومة العظام البشرية ويتساءلان..**
- **عبد الرحمن، يستمع إلى (حُذيفة) وهو يخبر بما رآه..**
- **نور، انصرف غاضبًا بعد حديث مع (عبد الرحمن) عن سلوك (نور) والكراهية المجهولة السبب بينه وبين (محمد)..**
- **محمد يواجه ذئبًا، ذئب أنقضَّ عليه بشراسة..**

1- أبو جعدة

كانت انقضاضة الذئب فاشلة تمامًا، وأظن السبب هو زمجرته التي أفسدت المفاجأة، فمع زمجرته، ودون أن يرفع (محمد) يده عن ظهر الذئب، دفعه بكل قوته ليتدحرج الذئب بعيدًا، وانتصب (محمد) واقفًا وقلبه يخفق بقوة.

تدحرج الذئب قبل أن ينتصب واقفًا على قوائمه، وينظر إلى (محمد) متأملًا..

هنا أكتب السطور القادمة على ذمة (محمد)..

زمجر الذئب وهو يحدق إلى (محمد)، كيف جرؤ هذا البدين ذو اللحم الوفير على دفعه؟

نظر الذئب إلى (محمد)، نظرة ذئب.. نظرة فضول.. نظرة استغراب.. نظرة تتكلم دون لسان.

الذئب:

- هيا، لا داعي للمقاومة، أنت تعلم من أنا، أنا ذئب، استسلم فورًا.

محمد:

- مُحال.

الذئب:

- لا حول ولا قوة إلا بالله، يا بني دع عنك البطولات الزائفة، أنا ذئب، ذئب يا بني، اسمع.. عوووو.. هل صدقت الآن؟

محمد:

- ولو.

الذئب:

- يا بني لا تصدق ما يكتبونه في الروايات الرخيصة أو ما تراه في الأفلام الضعيفة الأداء، لا مجال هنا لك للفرار أو الانتصار، وسأخبرك سرًّا، لا تصدق ما كتبه بنو آدم عن الذئاب، المقولة الوحيدة الصادقة التي كتبها آدمي "لا يأكل الذئب من الغنم إلَّا الشاردة"، ما سواها كذب، ونحن الذئاب لا ننكر ما يكتبه البشر لأنَّه دعاية تخدم أغراضنا، الآن.. دع عنك البطولة ودعني أتذوَّق هذا اللَّحم الطيِّب.

محمد:

- مُحال.

الذئب:

- مُحال! مُحال يا (محمد)! والله عيْب يا (محمد)، عيْب، عيْب، عيْب، أنا ذئب وحيد ومسكين وجائع في هذه الجبال المُجدبة.

محمد:

- وما شأني بك؟

الذئب:

- قطعة من خاصرتك اليمنى، تكفيني عامًا أو يزيد.

محمد:

- مُحال، انصرف بعيدًا.

الذئب:

- انصرف بعيدًا! هل هذا كلام يا (محمد)؟! لقد ساقك الله إليَّ، وتريدني أنْ أرفس النعمة بقدمي! هل هذا كلام عاقل؟

محمد:

- ليس لك عندي سواه.

الذئب:

- محمد.. كن عاقلًا، ولا تبخل عليَّ بقطعة يا سمين الأفْخاذ.

محمد:

- إليك عنّي.

الذئب:

- تس.. تستس، والله عيب يا (محمد)، والله عيب يا رَغِيب البطن، ألا ترأف بحالي، ذئب مسكين في هذه الجبال الجدباء، لا يجد قوت يومه، أوشك على الهلاك جوعًا وعطشًا، وأنت تبخل بقطعة منك يا كثير العُصارة، كن كريمًا، كُن عاقلًا، وهات قطعة من هذا الصدر الرجراج.

محمد:

- على جثتي.

الذئب:

- على جثتك! وهل ترى عندي ثلاجة عشرين قدمًا في عشرة أقدام حتى أضع فيها جثتك وجثث أهلك؟ ~ هذا الذئب أحمق أو ساذج ~ انظر في ما حولك، نحن في وسط الجبال، لا ماء، لا كهرباء يا طري الوجنات.

محمد:

- أنت أحمق، ابحث لك عن كهرباء بعيدًا عنّي.

الذئب:

- كن عاقلًا يا (محمد)، كُن عاقلًا، ابحث عن كهرباء؟! الكهرباء تحتاج اشتراك من جهة مختصة، هل تستطيع تخيّل المشهد؟ ذئب في طابور المشتركين يرغب في الحصول على خط كهرباء! والمهزلة الأكبر حين يجيء دوري، ماذا سأقول حين سؤالي لم تريد الذئاب الكهرباء؟ أقول لأجل شراء ثلاجة أضع فيها (محمد) وأهله، كُن عاقلًا يا (محمد)، ابن عمِّي ذهبت الجبال بعقله كُلّه ولا يزال يفكر أفضل منك.

محمد:

- ابن عمَّك؟!

الذئب:

- نعم يا (محمد)، ابن عمِّي، ضجِر الجوع والعطش فرغب في الهجرة، ومنذ أن علم أنَّ الأمريكيين يعانون السمنة، وهو يرغب في الهجرة إلى أمريكا، ولكنه لا يستطيع بلوغ السفارة، والآن تفتَّق ذهنه عن إدعاء أنَّه يعاني الاضطهاد، وهو يأمل أن يسمعه أحد من السفارة الكندية فيعطيه حق اللجوء إلى كندا ومنها إلى أمريكا، الآن يا (محمد) وقد أصبحنا أصدقاء، وقصصت عليك حكاية ابن عمِّي، هات قِدرة لحم يا وضيء البشرة.

محمد:

- أصدقاء؟! ومتى صادق البشر الذئاب؟

الذئب:

- محمد، لقد تكلمت وأكثرت الكلام، ممارسة الديموقراطية لا يعني قبول نتائجها.

محمد:

- ديموقراطيه؟!

الذئب:

- نعم يا (محمد)، الديموقراطية، يعني democracy بالإنجليزية، ثقافتك ضحلة جدًّا يا ثخين الرقبة، لقد سمحت لك بالاعتراض على رغبتي، وبهذا مارست الديمقراطية، ولكن كما اسلفت، قبول نتائجها أمر آخر، وأنا أرفض اعتراضك على رغبتي يا بضّ الكفين، للمرَّة الأخيرة هات قطعة من هذه الكتف المكتنزة.

محمد:

- محال.

هنا زمجر الذئب وانقضَّ.. بشراسة.. في قفزة قوية غايتها صدر (محمد)، وللمرة الثانية زاغت الفريسة ~ حسبنا الله ونعم الوكيل هذا الـ (محمد) لا يضيف إي إثارة ~ ليجد الذئب نفسه ينقضَّ على الهواء، سقط على الأرض القاسية.. بصخورها الصلبة القاسية.. بأشواكها الحادة.. تدحرج ولم يحاول منع نفسه حتى توقف عن الدحرجة من تلقاء نفسه، فنهض مسرعًا قائمًا على أربعته.. لينظر إلى (محمد)..

الذئب:

- محمد! محمد! ما هذا يا (محمد)؟

محمد:

- هذا ما تراه.

الذئب:

- حجَر! حجَر يا (محمد)! تمسك حجَرًا، عيْب، والله عيْب يا ممتلئ الساقين، وماذا ستفعل به؟ تقتلني؟! تقتلني يا (محمد)؟! أبعد هذه الصداقة تريد قتلي؟! لقد حطمت قلبي يا غزير اللحم، ماذا أفعل الآن؟ أخبرني ماذا أفعل الآن؟

محمد:

- ابحث عن غيري.

الذئب:

- ابحث عن غيرك؟! بالله عليك يا (محمد)! هل هناك من هو ألذّ منك؟!

محمد:

- يوجد، فقط ابحث بعيدًا عنّي.

الذئب:

- ابحث عن غيرك يا بحر الأطايب! مَن؟ (حُذَيْفة)؟ (عُمر)؟ (عبد الرحمن)؟ (نور)؟ (فتحي)؟ الدكتور (مختار)؟ جميعهم ضيوف يا (محمد)، ولا تنس أنَّ (فتحي) يمني يا (محمد)، يمني، أتعلم ما يعنيه هذا؟

محمد:

- لا.

الذئب:

- يعني أنَّ خنجره على بطنه، سيبقرني بخنجره يا (محمد)، هل هذا ما تريده لي؟ تس.. تس.. تس. هل بلغت الكراهية في قلبك إلى الرغبة في قتلي؟!! (عاصم) لحمه قاسي وليس كثير العُصارة مثلك، كما أنَّه يبدو

قويًّا، ولست قادرًا على مصارعته، الدكتور (مختار)! أنَّه يخيفني يا (محمد)، هناك شيء ما به يخيفني، باختصار يا (محمد) لا أجد سواك وحجتي الظاهرة أنَّ الآخرين ضيوف، تريد أن يقول العالم أنَّ المصريين يأكلون ضيوفهم! عيْب، والله عيْب يا (محمد)، يا كثير العُصارة، ليس هذا منَّا ولا فينا.

محمد:

- أيُّها اللعين، أنت تريد افتراسي فقط، وجدت للجميع أعذارًا إلّا أنا، أنا المُضيف، أنا صاحب البيت.

الذئب:

-يا كثير الشَحْم، سأخبرك الحقيقة، ولا شيء غير الحقيقة.

محمد:

- الحقيقة! أي حقيقة؟!

الذئب:

- نعم يا (محمد)، الحقيقة، لا استطيع افتراس سواك بسبب السياحة، ها أنا قد أخبرتك الحقيقة.

محمد:

- السياحة؟! وما شأنك بها؟

الذئب:

- يا (محمد)، يا غض العظام، لو علمت وزارة السياحة أنني افترست سائحًا، ستطلب من الشرطة والجيش ورُبَّما مكافحة الإرهاب أن تطارد الذئاب بحجة قيامها بتخريب السياحة، سيأتون ويقتلوننا، سننقرض يا (محمد)، يا (محمد) سننقرض، هل يمكنك تخيّل عالمًا بلا ذئاب؟ نحن ملح هذا العالم يا سهل الهضم.

محمد:

- عالم بلا ذئاب أفضل وأجمل.

الذئب:

- تس.. تس.. تس.. عيْب، والله عيْب يا كثير العُصارة، عالم بلا ذئاب؟! نحن ملح هذه الدنيا، كاتب مثل هذا ضعيف الموهبة يضع في روايته مشهدًا للذئاب فتُحبس أنفاس القارئ من الإثارة، مُخرج قليل الإبداع يضع في فلمه مشهدًا لنا، فيشهق المشاهدون من الخوف، نحن صيدلية يا (محمد)، صيدلية، هل تعرف ماذا يعني هذا؟ تخيَّل رجلًا يشاهد فيلم السهرة مع زوجته، ويظهر مشهد الذئاب، عوووو، تفزع الزوجة وتلجأ

إلى زوجها، ولن أقول أكثر من ذلك، لأنَّ عمرك أقل من سبعين سنة، وشرح هذا الأمر يحتاج أن تكون أكبر من ذلك، لا أعلم من هذا الذي جعل السبعين فارقًا بين الطفولة والبلوغ؟! العالم أصبح مهزلة يا (محمد)، مهزلة بحق، هل أدركت الآن ماذا سيصيب العالم من غير الذئاب؟

محمد:

- ولو، لن تأكلني.

الذئب:

- ولو! لن تأكلني! بل سأفترسك وأفترس أهلك، أنت لا تدري من نحن، نحن الذئاب، سأفترسك يا عريض الظهر، أتعلم؟ سيكافئني العالم حين افترسك.

محمد:

- العالم؟

الذئب:

- نعم، العالم يا وافر اللحم، سيشكرني العالم، على مساهمتي في تقليل عدد السكان، للوصول إلى المليار الذهبي[1] ~ هذا الذئب مثقف ويتابع أخبار العالم ~، وستُشجع الرحلات إلى جبالنا، سنشبع لحمًا يا (محمد)، لقد ذهبت سنون الجوع يا كثير العُصارة.

محمد:

- هذا لـ..

الذئب:

- كفى كفى كفى، كفى، لعن الله الديمقراطية، أنا ذئب، أنا (أبا جعدة)، منذ متى تمارس الذئاب الديموقراطية؟ هذه مهزلة، هذا جنون، سأفترسك، سأفترس أهلك، سأفترسكم جميعًا.

---

[1] المليار الذهبي نظرية ظهرت في نهايات القرن العشرين، وهي تدور في فلك نظريات المؤامرة، وتقول هذه النظرية أنَّ موارد الأرض جميعًا لا تكفي سكان العالم جميعًا، بل تكفي مليار شخص فقط، بحيث يستطيع هؤلاء العيش برفاهية، ولذلك يجب إنقاص عدد سكان العالم إلى هذا الرقم (المليار الذهبي) ، وذلك من خلال محاربة النظام الأسري و الإنجاب ونشر الرذيلة وما يخالف الفطرة السليمة ، والتخلص من كبار السن والمرضى والفقراء وقليلي الإنتاجية ونشر الأوبئة والكوارث، ويُشاع أنَّ الإيدز والإيبولا و كورونا أجزاء من خطة إنقاص عدد سكان العالم، وقد أعطى حديث الرئيس الروسي (فلاديمير بوتين) إبان الحرب على أوكرانيا عن هذا الأمر زخمًا من الحقيقة ، وكذلك تصريح (بيل غيتس) عام 2017م بـ "أنَّ على البشريَّة أن تستعد لوباء"، وما تبعه من ظهور فيروس كورونا.
ويُتهم الأوليغارشية (الطبقة الغنية) بتبني ودعم نظرية (المليار الذهبي). (المصدر: ويكيبديا العربية وأخرى، بتصرف)

وزمجر وانقضَّ على فريسته.. ما أجملك.. ما أروعك.. هذا هو الذئب وإلَّا فلا.. هذا هو أبو جعدة..

2- عُمر

- من أين جاءت؟

سأل الدكتور (مختار) وهو يقترب من كيس اللحم، ويتقرفص قريبًا منه، اقترب (فتحي) بدوره وفضَّل الوقوف وهو يقول:

- كما أخبرتك، سمعت سقوط شيئًا رُبَّما سقطت من الطائرة.

بجرأة غريبة أمسك الدكتور (مختار) بالرأس ونظر في العينين الشاخصتين، نظر فيهما نظرة رجل اعتاد الموت والأموات، وهو يمسك الرأس كأنَّه يمسك تفاحة أو ثمرة كمثري، وأدار الرأس ببطء، يتمعَّن فيه، يريد أن يسبر أغواره، وتوقف عند نقطة، ليقول:

- الوغد، الحقير.

لم يصدق (فتحي) هذه الجرأة على ميت، لذا سأل مدهوشًا:

- ماذا؟

لم يلتفت إليه الدكتور (مختار)، وهو يقول:

- مَن فعل هذا هو شخص حقير.

أدرك (فتحي) مقصده، سأل:

- من تظنه فعل ذلك؟

وضع الدكتور (مختار) الرأس أرضًا، والتفت إلى الكومة في الكيس، أجاب:

- حتمًا شخص أو أشخاص حقيرون.

فتحي:

- وماذا سنفعل؟

التفت الدكتور (مختار) حوله، وأجابه:

- ندفنها.

مدهوشًا كرر (فتحي):

- ندفنها! ألن نبلغ الشرطة أو الجهات المُختصة؟

نهض الدكتور (مختار) وهو يواصل البحث عن شيء ما حوله، حتى وجده وأشار إليه بيده، قال:

- هناك، نعم، لن نبلغ أحدًا، لقد جئنا إلى هنا، كي لا يعلم أحد بمكاننا أو وجهتنا، أتريد أن نفضح أنفسنا؟

وأعاد الرأس إلى الكيس مُتجاهلًا دهشة واستنكار (فتحي)، وتابع:

- ساعدني على وضعه في تلك الوهدة هناك، ستكون قبرًا مناسبًا له دون الحاجة إلى الحفر.

لهُنيهة لم يتحرك (فتحي)، كان ينظر إليه كأنَّه أوَّل مرة يراه، هتف:

- هذا إنسان قُتل ومُثِل بجثته وأُلقيت في هذه الجبال كي لا يعلم بها أحد، عظمة الله هي من قادتنا إلى هنا، لنكتشف الجريمة، يجب أنْ نعرف قاتله وتقديمه للقصاص.

ضمَّ الدكتور (مختار) فتحة الكيس، نظر إليه، قال:

- أتعرف قاتله؟

بغيظ أجابه (فتحي):

- الجهات المُختصة ستعرف.

أشار الدكتور (مختار) للطرف المقابل للكيس في إشارة واضحة بأن يساعده في حمل الكيس، قال:

- أنت تنسى عدالة الرحمن.

وبثقة لا تعلم من أي سوق اشتراها، أكمل:

- لن تنقضي بضعة أيام إلَّا وقد عُرف القاتل وأُقتص منه، هيا ساعدني.

معترضًا ومنزعجًا حمل (فتحي) معه الكيس إلى الوهدة، وتعاونا معًا على ردمها، ووضعا كومة من الصخور علامة كبيرة واضحة عليه.

فتحي:

- هل نصلي صلاة الجنازة؟

نظر إليه الدكتور (مختار) نظرة الرأس الميت ~ نعم، ذات النظرة التي في عيني الرأس المقطوع ~، قال:

- هه؟! نعم، ولم لا؟!

وقفا جنبًا إلى جنب وصليا صلاة الجنازة، و..

- من تظنه فعلها؟

سأل (فتحي) وهما يأخذان طريقهما إلى كهفهما، شاردًا أجابه الدكتور (مختار):

- مجرم يظن نفسه يخدم البشريَّة.

توقف (فتحي) عن السير لينظر إليه، ومدهوشًا سأل:

- أتعر...

قطع سؤاله صوت نداء (عبد الرحمن) وهو ينادي الدكتور (مختار) بعلو صوته، صوت ملأه القلق والاضطراب.

هُرِعا إلى مصدر الصوت، ليجدا (حُذيْفة) قاعدًا على صخرة وأمامه (عبد الرحمن) يحاول أن يسقيه الماء من قارورة.

قصَّ (عبد الرحمن) عليهما ما أخبره به (حُذَيْفة)، والأخير يجهش بالبكاء، وفرغ الأوَّل من حديثه، وبعد صمت سأل:

- ماذا سنفعل؟

فتحي:

- أين (عاصم)؟

بصوت تخنقه العبرات، أجابه (حُذَيْفة):

- لا أعلم.

نظر (عبد الرحمن) إلى الدكتور (مختار)، سأل:

- ماذا سنفعل؟

نظر إليه الدكتور (مختار) وأجاب ببلادة يُحسد عليها:

- لا شيء.

طبعًا لا شيء، هذه ليست يوميات مغامرات رحلة إلى حدود العالم.. بل هي يوميات اللا شيء.. من يهتم؟!.. لا أحد.. لعنات القارئ ستنهال على رأس من يكتب وينشر هذه اليوميات.. القارئ يبحث عن مغامرة، فيجد نفسه يقرأ يوميات اللا شيء.. حسبنا الله ونعم الوكيل.. حسبنا الله ونعم الوكيل.. لنرجع إلى (محمد)، أفضل من هذا اللا شيء.

* * *

هذه المرة لم يثب (أبو جعدة) كما في المرَّة السابقة، بل وضع خطة استراتيجية[2] طويلة الأمد للنيل من كومة اللحم المُسماة (محمد)، وثبة صغيرة جعلت المسافة بينه وبين (محمد) أقصر، مما جعل المناورة أمام الأخير محدودة جدًّا، وتبع ذلك بوثبة قويّة غايتها صدر (محمد)، و.. ولكن.. نعم ولكن.. هذه الـ "لكن" جاءت من الحجر الذي يمسك به (محمد)، فقد ألقى هذا الحجر بكل قوته نحو (أبي جعدة) لتصيبه في رأسه بين أذنيه أثناء وثبته الأخيرة، ولكن قوة اِنقضاضة (أبي جعدة) لم تجعل للحجر أثرًا عليه، وجسده يهبط مندفعًا نحو صدر (محمد)، (محمد)

---

[2] الاستراتيجية هي قيام الجهة المعنية بوضع أهدافها وغاياتها ، وتحديد الإجراءات التي تحقق هذه الأهداف والغايات، والحصول على الموارد اللازمة لتنفيذ الإجراءات، وتشمل الاستراتيجية الصياغة والتنفيذ.
في حين التخطيط الإستراتيجي هو تحديد الاستراتيجية أو ما تؤدي إليه واتخاذ القرارات بشأن تخصيص الموارد لتحقيق هذه الاستراتيجية.
يمكن إيضاح التخطيط الإستراتيجي بأنه القيام بما يضمن تحقيق الإستراتيجية بكفاءة وفاعلية من خلال فهم الإستراتيجية والتغذية الراجعة (الاقتراحات والملاحظات والشكاوى والعيوب التى تظهر أثناء التنفيذ).
مثال للتوضيح فقط: إستراتيجية لعبة تجميع الصورة المقطعة، الهدف: الحصول على الصورة الكاملة، الإجراء : وضع القطع في مكانها الصحيح، الموارد : شخص ووقت وأجزاء الصورة المقطعة.
التخطيط الإستراتيجي هو اختيار شخص قوي الذاكرة وسريع البديهة وتحديد الوقت الملائم ووجود جميع أجزاء الصورة، والبدء بوضع قطع الأركان الأربعة ،ثم البحث عن القطع التي تجاورها، ويتغير موضع إكمال الجزء الناقص تبعًا لوضوح الصورة.
يمكن إنجاز إستراتيجية اللعبة بدون تخطيط، ولكنها ستستغرق وقتًا أطول وقد تؤثر سلبًا على أشياء أخرى.

الذي أدار جذعه بقوة، ليجد (أبو جعدة) نفسه ينقضُّ على الهواء، ويتكرر مشهد سقوطه مرَّة أخرى.

وثب قائمًا على أربعته، و(محمد) ينحني ليلتقط حجرًا آخرًا، لم ينتظر بل انقضَّ من فوره ووثب بقوة.. بعزم..

محمد منحني ليلتقط حجرًا و(أبو جعدة) يثب وقد أوقن هذه المرَّة أنَّ فريسته لن تفلت منه.. وبلغت اِنقضاضته ذروتها وبدأ مرحلة الهبوط نحو خاصرة (محمد) اللحيمة، إنَّ (أبا جعدة) سيذوق لحمًا طيبًا غضًّا طريًا يغنيه أعوامًا طويلة.. و..

وضربة قويّة في خاصرة (أبي جعدة) ألقت به جانبًا بعيدًا عن فريسته، تدحرج بقوة وهو يطلق عواءً، ونهض بسرعة ليفهم ماذا حدث؟!.. كيف أفلتت فريسته منه؟!.. و.. ورآه..

رأى ذلك ال..

الـ (نور)..

واقفًا الوقفة الاستعراضية التى يحبها، قدمه على صخرة ~ من أين جاء بها؟! هل يحملها معه؟! ~ وقبضتاه في خاصرته، يبدو أنَّه رغب في أن يكون بطلًا من أبطال أفلام العنف والحركة، ولكنه لم يفلح لسبب ما.

نظر إليه (أبو جعدة).. إذن هذا هو السبب.. نور.. جاء من (لبنان) خصيصًا ليحرمه وجبته.. بهذه البِنْية الضعيفة ركل هذا الـ.. الـ (نور).. خاصرته ليلقيه بعيدًا عن فريسته.. عن وجبته..

أدار (أبو جعدة) نظره إلى (محمد).. إلى.. الـ (نور).. إلى (محمد).. راغبًا في الهجوم مرَّة أخرى.. الفريسة أصبحت فريستين..

"يأكل الذئب من الغنم الشاردة"

كم رغب (أبو جعدة) في تجاهل هذا القانون، كم رغب في الاِنقضاض على فريستيه.. ولكن يخشى أن يُفسد جُهْد القرون الطويلة بمخالفة ذلك القانون، والذئاب لن ترحمه إذا علمت بمخالفته القانون.. الجوع يفتك به في هذه الجبال الجدباء.. ولكن إذا خالف القانون سيشبع يومًا ويجوع دهرًا.. يجوع دهرًا؟.. كومة اللحم هذه ستُنسيه الجوع أبدًا.. لن يجوع أبدًا..

أوشك هذا الصراع الداخلي أن يذهب بما بقي من عقل (أبي جعدة)، وأخيرًا حسم الأمر.. العقل يقول يجب الخضوع للقانون.. المنطق يقول هذان اثنان وهو لا يملك القوة لمصارعتهما معًا.. إذًا.. يجب أنْ يذهب..

ألقى نظرة لوم وعتاب إلى (محمد).. خسارة.. أنَّه كثير العُصارة.. ووضع (أبو جعدة) ذيله بين فخذيه واستدار يجري مُبتعدًا..

أبا جعدة.. يا (أبا جعدة).. أين تذهب؟! لحم مصري صافي.. أبا جعدة.. لحم مصري صافي.. ومعه لحم لبناني هدية مجانية.. أبا جعدة.. هرررررر.. أبا جعدة.. لحم.. لحم.. هررررررر..

ولكن أبا جعدة لم يهتم بندائي وأنطلق لا يلي على شيء، وساد الصمت ~ هذا ما يفلحون فيه، الصمت تارة والثرثرة تارة أخرى ~، وقطعه (محمد):

- شكرًا.

لم يجبه (نور) فكرر في عصبية:

- شكرًا.

نظر له (نور):

- حبًا وكرامة.

أراد (محمد) أن.. أن.. أن.. هذا الـ (نور) يستفزه في كل شيء، حتى في...

- لماذا تكرهني؟

قطع سؤال (نور) أفكاره، وكأنَّ (محمد) ينتظر هذا السؤال، رفع ذراعيه وأنشب أصابعه في الهواء وهو يصيح:

- لا أعلم، هذا ما أريد معرفته، أنا مسلم، أنا عربي، أنا مصري، نحن لا نكره الناس من الفراغ، لماذا لا أطيقك؟ لا أعلم، هناك شيء ما بك يجعلني لا أشعر بالراحة معك، هناك شيء خطأ بك، لا أعلم ما هو، تبدو كصورة مقلوبة وتحتاج إلى تعديل.

أدرك (محمد) أنَّه ثرثر أكثر مما هو مطلوب، فتدارك الأمر:

- ولكن هذا لا يعني أنَّني أكرهك.

إذا لم تكن هذه كراهية فما هي الكراهية؟.. الوجوم على وجه (نور) جعله يشعر بأنَّه أخطأ في البوح بما في قلبه، والأسف والندم في صوته، تابع:

- اصغ.. لا تجعل كلامي يزعجك، رُبَّما هذا شعوري الخاص، لا تهتم به، حتمًا سيزول مع الوقت، إلى ذلك الحين ستجد في رفقة الآخرين خيرًا من رفقتي.

لم تتبدل هيئة (نور)، وأردف (محمد) بصوت يتخافت:

- على كل حال، أشكرك لإنقاذي.

بعد هُنيهة صمت، رد (نور):

- حبًا وكرامة.

عاد الدم يصعد إلى يافوخ (محمد)، وعاد للصراخ:

- هذا هو، هذا هو ~ حقوق الطبع محفوظة يا أستاذ (محمد) ~ ، "حبًا وكرامة"، لماذا لا تقول "عفوًا" كما يقول الناس؟!

أجابته نظرة تعجب تلاها لسان (نور):

- لأنَّ هذا هو الجواب الصحيح، شكرتني فأجبتك بأنني فعلت ما فعلته محبة، أنت لم تفعل خطأً كي أعفو عنك.

أنشب (محمد) أصابعه في الهواء من جديد، والغيظ يقول:

- ه.. ه.... ذ... ف... فلسفة، هذا ما تفعله، الفلسفة، تتفلسف.

بدا كأن (نور) يستمتع بإزعاجه، قال:

- هل تزعجك فلسفتي؟

رفع (محمد) سبابته ~ لقد عادت ~، ومن بين أسنانه، قال:

- سأقول لك شكرًا، وستقول لي "عفوًا"، هل سمعتني؟

كمن يشاهد فيلم السهرة مع الفشار والمشروب البارد، ردَّ (نور):

- سمعتك.

محمد:

- شكرًا.

تأمله (نور) في استمتاع، ردَّ:

- حبًا وكرامة.

نخس (محمد) الهواء بسبابته عدة مرات، بغيظ.. من بين أسنانه:

- أي.. أي..

ثم استدار يسير مسرعًا، وصوت (نور) يأتيه من خلفه ضاحكًا:

- أنت تذهب إلى حيث ذهب الذئب، هل تريد أن تسمع "حبًا وكرامة" مرَّة أخرى؟

في حركة آلية استدار (محمد) ليعود ومرَّ بجواره مسرعًا..

** **

3- ما العمل؟

- لن نفعل شيئًا!

الغيظ في كلمات (محمد)، لم تغير شيئًا من حالتهم، وهم جلوس في الكهف، وقد غرق الجميع في خواطرهم، بعد أن سرد (عبد الرحمن) ما حدث على (محمد) و(نور)، فكرر جملته بصوت أعلى:

- لن نفعل شيئًا!

بتكراره هذا صار وجهه قبلة عيون الآخرين، وقال الدكتور (مختار):

- لن نكشف موضعنا، لقد فعلنا كل هذا لنتخفَّى عن الأعين، سنبقى في هذا المكان ثلاثة أو خمسة أيام، انقضى يومان، وفي الأيام المتبقية سنرى ما يحدث، لعل (عاصم) يعود أو يحدث أمر ما.

مرَّة أخرى كرر (محمد):

- لن نفعل شيئًا!

يبدو أنَّ هذا الـ (محمد) يعاني صدمة أو شيئًا ما، هناك انفصال كامل بينه وبين محيطه، أما الدكتور (مختار) فوجد أنَّ المزيد من التبرير لن يضر أحدًا، فقال:

- هذه الرحلة تحـ...

- تبًا للرحلة.

هتف بها (محمد) بغضب، وكرر:

- تبًا للرحلة، سُحقًا لها، لن نتخلى عن رفاقنا لأجل هُرَاء.

وثب الدكتور (مختار) قائمًا، صائحًا:

- هُرَاء! هذه الرحلة ليست هُرَاءً، هذه الرحلة هي بوابة المجد، الطريق لمعرفة الحقيقة..

مشمئزًا، غاضبًا، هتف (محمد):

- أي مجد وأي حقيقة تلك التي تتحدث عنها، الأرض كروية، كل شيء يشهد بكرويتها...

قاطعه الدكتور (مختار):

- لماذا تصحبنا إذًا؟

محمد وهو لا يترك الهتاف ولا الغضب يتركه:

- وماذا سأخسر عند قيامي بها؟ رحلة مجانية استمتع فيها برؤية الدنيا، واكتشف خلالها سذاجة من يؤمن بتسطح الأرض.

صُعق الدكتور (مختار) من جوابه، مدهوشًا، غاضبًا، قال:

- رحلة مجَّانية؟! تستمتع برؤية الدنيا؟! أهذا ما تراه في هذه الرحلة؟

زاد (محمد) التحدي إلى جملة إنفعالاته:

- نعم، رحلة مجَّانية، هذا ما أراه، أتحسبون أنكم الأذكياء الذين يرون الحقيقة، والعالم كُلّه أغبياء لا يرون أبعد من أنوفهم؟ العالم كُلّه يُجمع على كروية الأرض، رجال الدين، علماء الجغرافيا، الفلك، الفيزياء، جميعهم يرون أنَّ الأرض كروية.

لا ريب أنَّ من اخترع قاذفات اللهب جاءته الفكرة من عيني الدكتور (مختار)، وهو ينظر إلى (محمد)، قبل أن يرد بهدوء شديد:

- كلمة "جميعهم" وحدها تكفيني لأعلم أنَّ مَن ذكرتهم ليسوا من أهل العلم، وأنهم أجهل من سمكة وُلدت وعاشت وماتت في حوض في محل حلاقة، وبخصوص الاستمتاع بمشاهدة الدنيا، فما سنقابله حتى الوصول إلى الجدار الجليدي أو ما يسميه "علماؤك" بالقارة المتجمدة الجنوبية، فسيجعل همَّك هو أنْ تنجو بحياتك، أما عن ما بعد الجدار فأنصحك أن تعود الآن إلى بيتك.

نهض (فتحي)، قال:

- دكتور (مختار)، هل ذهبت إلى هناك؟ إلى ما بعد الجدار الجليدي؟

ببطء أدار الدكتور (مختار) رأسه من (محمد) إلى (فتحي)، قال:

- رُبَّما.

حان الآن لينهض (عبد الرحمن)، وباستغراب، قال:

- رُبَّما؟! أيُّ جواب هذا؟ ذهبت إلى هناك أم لم تذهب؟

نظر إليه الدكتور (مختار)، أجاب:

- كل ما استطيع قوله، إنَّ هذه الرحلة لا يستطيع القيام بها فرد وحده، لا بد من وجود آخرين معه، آخرون أقوياء يثق بهم ويثقون به.

بغضب، قال (محمد):

- تحتاج آخرين وتتخلى عنهم والرحلة لم تبدأ بعد!

نظر الدكتور (مختار) إليه، قال:

- إذا لم ينقذوا أنفسهم ويلحقوا بركبنا، فلا حاجة لنا بهم معنا.

كانت هذه هي القشَّة التي قصمت ظهر البعير، والبعير هنا هو (محمد)، الذي اندفع بكُلّ الغضب نحو الدكتور (مختار) وهو يصيح:

- أيُّها الحقير.

وبكل عنفوانه وجَّه لكمة قويّة إلى فك الدكتور (مختار)، لكمة من قوتها دفعت الدكتور (مختار) نحو جدار الكهف بصخوره الناتئة و..

- داديييييي.

"دادي"؟! من أين جاءت هذه الـ "دادي"؟ هذه الرحلة ليس فيها (بابي) ولا (مامي) ولا (دادي) ولا (نينة) ولا (تيتة)، من أين جاءت هذه الـ"دادي"؟ من قال "دادي"؟ عليه أن يُظهر نفسه من قال "دادي".. الآن وفورًا.. قاموس هذه الرحلة كلماته هي لكم، ضرب، زمجر، غضب، نطح.. لكن.. (بابي) لا.. (مامي) لا.. (نينة) لا.. (تيتة) لا..

هنا صرخ (نور):

- أيُّها الوغد.

ووثب من مكانه ليركل (محمد) في صدره بقدمه بحركة أصفها أنَّها عالية المرونة، واندفاعة جسد (محمد) إلى الخلف نحو (فتحي) وسقوطهما معًا، تقول أنَّها قويّة جدًّا.

يا سلام.. هذا هو.. هذا هو.. بعد خيبة أملي في (أبي جعدة).. الله يكرمني بهذه الإثارة.. اللهم لك الحمد.. اللهم لك الحمد.. سجدة شكر لله.. الآن.. والآن فقط بدأت المغامرة..

اندفع (نور) نحو (محمد)، ليعطيه المزيد من اللكمات والركلات، ولكنه وجد ذراعي (عبد الرحمن) تحيطان بخصره وتوقفان اندفاعته مع هتاف (عبد الرحمن):

- كفى، بالله عليكم، كفى.

تدحرج (محمد) عن (فتحي) على أرض الكهف القاسية، ونهض بسرعة.. لقد حان الوقت لتعديل هذا الـ (نور).. ووضعه في الشكل الصحيح.. اليوم يوم مشهود يا أمة العرب.. يا أمة الإسلام..

ولكنه وجد (فتحي) قد نهض وأغلق عليه الطريق ووضع يديه على صدره يدفعه للوراء وهو يصيح:

- محمد، بالله عليك، تمالك نفسك، لا تفسد جمعنا.

بالله عليك يا (فتحي)، دعه، دعه، لكمة أخرى لن تضر أحدًا.. دع من يقرأ هذه اليوميات يجد نفسه أمام مغامرة تستحق القراءة.. (عبد الرحمن)، بالله عليك يا (عبد الرحمن)، اترك (نور)، ركلة أخرى ستجعلني من أرباب القلم.. هيا يا (فتحي).. هيا يا (عبد الرحمن).. و.. ولكن لا أحد يسمع.. ولا أحد يستجيب.. الجميع يتآمرون عليَّ.. حسبنا الله ونعم الوكيل.. حسبنا الله ونعم الوكيل..

الآن المشهد كالتالي:

الغضب يعصف بـ (محمد)، ويُعمي بصره وبصيرته، حتَّى خُيّل في طرفة عين أنَّ الدكتور (مختار) أصبح رجلًا رمادي اللون، أبيض الشعر، أزرق

القزحية.. (فتحي) يدفع (محمد) إلى الوراء، (حُذيْفة) في المُنتصف فاردًا ذراعيه كأنَّه ينظّم حركة المرور في أحد الميادين، الدكتور (مختار) يعتدل وهو يمسك فكه..

نور يركل الهواء بقبضتيه وقدميه في حين يحيط (عبد الرحمن) بخاصرته ويمنعه من التقدم نحو (محمد)..

- كفى، كفى، كفى.

انطلقت هذه الكلمات على هيئة صيحة قويّة هادرة من فم الدكتور (مختار)، وهزَّت الكهف حتى بدا كأنَّه سيتداعى، ومع نهاية كلماته جمد كل منهم على هيئته، كأنه مشهد تم إيقافه في فيلم ما، في حين أكمل الدكتور (مختار) بصوت قوي:

- لن يجدي الخلاف، ولن يصل بكم إلَّا للخسارة.

والتفت إلى (محمد)، وأردف متوحَّشا:

- أنت، لو فعلتها مرَّة أخرى فسأقطع يدك.

والتفت إلى (نور)، وزاجرًا:

- وأنت كفى، لا أحتاج من يحميني أو يقاتل عنِّي.

وأشار إلى (عبد الرحمن) بأن يفلته، والتفت للباقين، قال:

- أنتم، من يظن منكم أنَّنا ذاهبون في نزهة، فليعد أدْراجه، الله وحده يعلم ما سنواجهه حتى الوصول إلى الجدار الجليدي، الخطر والموت معنا في كل خطوة من هذه الرحلة، سنواجه من لا يرغب في قيامنا بهذه الرحلة، وهو مستعد لانتزاع أرواحنا وتمزيق أجسادنا لمنعنا من مواصلة هذه الرحلة، سنجد في طريقنا من يحسبنا فريسة سهلة، يقتلنا ويسرق أموالنا أو حتى يستعبدنا لنعمل في مزارع المخدرات أو غيرها، سنجد من يحتاج مساعدتنا، وهل سنتركه؟! سنجد أسرارًا تحتاج كشفها وألغازًا تحتاج حلها كي نستطيع مواصلة رحلتنا، أنتم ذاهبون في رحلة سترون من العجائب شيئًا أشبه بما تقرأونه في القصص الخيالية، هذا ما سنواجهه قبل الوصول للجدار الجليدي، وما بعد الجدار أخطر، هل قمت بهذه الرحلة من قبل؟!

سكت ونظر إليهم الواحد تلو الآخر، أكمل:

- نعم، ولم استطع إكمالها، تحتاج إلى شجعان أقوياء معك، رجال.. أشخاص تستطيع أن تثق فيهم، وأنَّهم قادرون على رعاية أنفسهم وتقديم العون لأنفسهم ولك، هذا كل ما سأخبركم به عن رحلتي السابقة،

وأنا أحاول الآن استثمر خبراتي وتجنب الأخطاء ومعظم أماكن الخطر التى مررت بها في رحلتي الأولى، وتجنب تلك الأماكن لا يعني اِنعدام الخطر في سواها.

مرَّة أخرى سكت، وهو ينتقل بنظره من وجه إلى آخر، تابع:

- كما قلت سنواصل رحلتنا خلال يوم أو ثلاثة، إلى ذلك الحين من يرغب منكم في العودة فسأمهّد له طريق العودة، أما (عاصم) و(عُمر) إن لم يعودا قبل ذهابنا فسوف نقوم بإبلاغ الجهات المعنية ونعطيها كافة البيانات التي تساعدها في الوصول إليهما، دون أن نعرّض أنفسنا لخطر الانكشاف.

يسرف هذا الدكتور (مختار) في استخدام (سين) المستقبل القريب، ويبخل بـ (سوف) المستقبل البعيد..

ساد الصمت حتى قطعه (حُذيْفة) بصوت رفيق الهمس:

- أنت من أرسلتهما.

نظر إليه الدكتور (مختار)، تمهّل، أجاب:

- صحيح، وأنا من سيعيدهما إن لم يرجعا.

*** * ***

مالت الشمس نحو المغيب، وصبغت الجبال بخليط من الألوان، الأصفر والأحمر والقرمزي، وفي الطرف البعيد من الجبل بعيدًا عن الكهف، اتخذ الأربعة من صخور مقاعدًا لهم، وهم ينظرون للطبيعة القاسية للجبال، لا طير، لا حيوان، لا إنسان، فقط صخور تباينت أشكالها وألوانها وأحجامها، وأشواك انتشرت هنا وهناك، وأشجار قصيرة حاولت الحياة في هذه الجبال الموحشة، وحاولت وحاولت وفشلت، واستسلمت واكتفت بأن تبدو كشجرة ما.

هنا طار طائر من جبل على يمينهم إلى عَنان السماء، كنت أعلم أنَّه سيفعلها، سيفعلها فقط ليكذبني ويغيظني..

- الذئاب.

قطع (فتحي) صمتهم بكلمته هذه، التي أدارت رؤوس الآخرين إليه، وعقَّب (حُذيْفة):

- ماذا عنها؟

فتحي:

- كانت تأتي مدخل كهفنا وتعود مسرعة.

عبد الرحمن:

- لقد لاحظت هذا.

حُذيْفة:

- ماذا تعنيان؟

فتحي:

- لا شيء، أحببت مشاركتكم هذه الملاحظة.

عبد الرحمن:

- الذئاب لم تحاول اقتحام كهفنا.

حُذيْفة:

- المدخل مُغلق بشجرة شوك كبيرة.

فتحي:

- وهل سيوقف هذا الذئاب؟! إنها لم تحاول الدخول، كانت تصل باب الكهف وتعود مسرعة وهي تطلق عواءها.

محمد:

- كل شيء في هذا المكان غريب ومخيف، حتى هذا المدعو الدكتور (مختار)، أنَّه يخفي أشياءً كثيرة، وهناك شيء مخيف يُحيط به.

هذا الـ (محمد) لا يترك أحدًا في شأنه، لا يطيق أحدًا، تارة (نور) وتارة (أبا جعدة) وتارة الدكتور (مختار)، ولا ريب أنَّ دوري في الطريق.

حُذيْفة:

- حقًا، أثناء الخلاف، في لحظة كلمح البصر خيّل إليَّ أنَّ الدكتور (مختار) صار رماديًا بشعر أبيض وعيونه زرقاء كالسماء.

وثب (محمد) من مكانه واقفًا وهو يصيح:

- أرأيت هذا؟

نظر له (حُذيْفة)، والدهشة في وجهه وكلماته، قال:

- هل رأيته أنت؟

هتف (محمد) منفعلًا:

- نعم، رأيته، وظننت أنَّني أتوهم.

فتحي:

- عمَّ تتحدثان؟

بكلمات تسابق بعضها أعاد (محمد) ما رآه وحسبه وهمًا..

بتردد.. بحذر.. قال (عبد الرحمن):

- ل.. لعلكما توهمتما ذلك؟!

حُذَيْفة:

- اثنان! في نفس اللحظة! وذات الحدث!

فتحي:

- إذًا، ما تفسيره؟

محمد:

- الله أعلم بتفسيره، الآن أنا على يقين أنَّني لم أتوهم.

عبد الرحمن:

- غموض يُضاف إلى ما حولنا، ما يهمني الآن هو أمر (عاصم) و(عُمـ...

قطع كلامه صوت (نور) وهو ينادي بأسمائهم الواحد تلو الآخر، كأنَّه يبحث عنهم، ظهر الغيظ والاشمئزاز على (محمد)، في حين نهض (حُذَيْفة) وصنع بوقًا بكفيه حول فمه وهو يصيح:

- هنااااا.... تعاااال...

وظهر (نور) يركض نحوهم وهو يتقافز حول الصخور والأشواك، حتى بلغهم، واخذ يعبّ الهواء عبًّا، نضح:

- عـ.. عا.. عاصم.. لـ.. لقد.. عاد..

ألم أقل لكم أنَّ لياقة هؤلاء الشباب موضع شك..

* * *

4- عاصم

الاستقبال الذي حظي به (عاصم) لم يحظ به لاعب كرة قدم أحرز هدف الفوز في الثانية الأخيرة من مباراة هامة، واستغرق الأمر وقتًا حتى هدأت انفعالاتهم واتخذوا لهم مجالسًا، ولم يبح أحدهم بما أصاب (عُمر).

حُذيْفة:

- أخبرنا، ماذا حدث؟ أين كنت؟

عاصم:

- سأخبركم بكل شيء، ولكن المهم الآن هو (عُمر)، أين هو؟

صمت الجميع وعلا الوجوم وجوههم، مما جعل (عاصم) يجزع ويقول:

- ماذا هناك؟ ماذا حدث؟

لم يجبه أحد، حتى تكلم (حُذيْفة) بصوت حزين:

- عمر مات، قتلوه..

أصابت الدهشة (عاصم)، هتف:

- متى حدث هذا؟

قصَّ (حُذيْفة) ما رآه على (عاصم)، واستمع له الأخير حتى انتهى، فهزَّ رأسه بالنفي، وقال:

- عُمر لم يُقتل، أنَّه أسير في مكان ما، لا أعلم أين هو.

هتف (حُذيْفة):

- حقًا! كيف علمت هذا؟

نظر إليه (عاصم)، قال:

- لأنني رأيته يسير مع آسريه الذين يرتدون ثياب الجيش.

ظهر الارتياح والسرور على وجوههم، وهتف (حُذيْفة):

- الحمد لله، نستطيع الآن الذهاب إلى الجيش وإيضاح الأمر لهم وإخراجه.

مرَّة أخرى هز (عاصم) رأسه بالنفي، قال:

- هذا مستحيل، إنَّهم يرتدون ثياب الجيش ولكنهم ليسوا منه، الذهاب إليهم طريق بلا عودة.

فتحي:

- كيف علمت هذا؟

نظر إليه (عاصم)، قال:

- لأنني كنت هناك.

هتف (عبد الرحمن):

- حقًا! كيف؟

وبدأ (عاصم) يحكي حكايته..

*** * ***

يبدو أنَّ العمل في إصلاح وعمارة البيوت مع (كمشة) و(ابن أمه) يعطي الإنسان الصحة والعافية، فقد انطلق (عاصم) يشق طريقه بين الجبال وغايته مصدر الرصاص الذي سمعه بالأمس، ولأن (عاصم) حسب ظنِّي واعتقادي أنَّه الزعيم رقم صفر، الذي لا يعلم حقيقته أحد ~ نعم كما تقول، رُبَّما يكون ابن خالتك وأنت لا تدري، بالله عليك ~ فكان ما يقلقه هو الصدى، الصدى؟! نعم يا أخي، الصدى، ذلك الصوت الذي يبدو كصوت شخص يكرر ما تقوله، فهل سيجد هناك مصدر الصوت أم صداه؟

ويبدو أنَّ ~ هناك الكثير من يبدو أنَّ ~ (عاصم) قد رضع الحذر من أمه ~ أم الحذر نفسه وليس من (عزيزة) أم (عاصم) ~، فهو يسير وقد جعل

الصخور والأشواك والأشجار القصيرة الذابلة سترًا له، فإذا لم يجد شيئًا من هذا أحنى ظهره وأسرع..

بعد نصف ساعة من السير الحثيث، لم يتغير من طبيعة الجبال شيء، ولم يعثر على شيء، وهذا جـ...

ودوت زخة رصاصات، جعلته يلجأ إلى صخرة يحتمي بها، صوت الرصاصات جاء من خلفه، هل تجاوز المكان وهو لا يدري؟!

بحذر أطلّ برأسه من جانب الصخرة، لم ير شيئًا، كل شيء كما عهده، الجبال جبالًا والوديان وديانًا، الصخور صخورًا والأشواك أشواكًا، أين من أطلق الرصاص؟

مكث في مكانه حينًا وهو يتفحص محيطه، وبحذر عاد من طريقه، وهو ينظر حوله لعله يرى ما يخبره عن مصدر الرصاص، كان يأمل في ملاقاة (عُمر)، لعل الأخير رأى شيئًا، أو علم مصدر الرصاص..

ورآه.. رأى (عُمر) يسير بين ثلاثة جنود يجبرونه على السير معهم، والدم ينزف من جرح في جبينه، بسرعة أخفى نفسه وراء صخرة تخفي نفسها وراء نبتة شوك كبيرة..

اقترب الأربعة من مكمنة، والتصق بالصخرة حتَّى أنَّت من حدة الأشواك، تضرع لله أن يكون طريقهم من أمام النبتة وليس من جهة الصخرة..

وأُستجيب له، فمرّوا من أمام النبتة وهم يتحدثون بصرامة وشراسة، مع اختلاف صغير لا يفسد للودّ قضية..

لم يكونوا يتحدثون العربية، بل الإنجليزية..

الإنجليزية التي يجيدها (عاصم) بحكم دراسته أنظمة المعلومات الحاسوبية..

لماذا لم يهاجمهم (عاصم)؟ كل ما يحتاجه قفزة في الهواء فاردًا رجليه على أقصى اتساع لهما مع حركة مروحية، فيسقط الثلاثة فاقدي الوعي، وينقذ رفيقه (عُمر)، هذا هو تصوري للأمر، أمّا (عاصم) فيخطط لمعرفة هؤلاء ومكانهم وغايتهم، أليس هو الزعيم رقم صفر، الذي لا يعرف حقيقته أحد؟!

بحذر سار (عاصم) وراءهم وهو يتخفى في ملامح الجبل، تارة صخرة هنا، تارة نبتة هناك، تارة وهدة هنا، تارة ثنية هناك، وشظايا من حديثهم تصل إليه..

* * *

فتحي:

- ماذا يقولون؟

عاصم:

- لا أعلم، كان حديثهم يصل لي كلمات مبعثرة، ومما وصلني فهمت أنَّهم لا يتحدثون العربية، وأنّهم ينتظرون بلوغ مقرهم حتَّى يجدون من يتحدث إليه.

عبد الرحمن:

- أين مقرهم؟

*** * ***

انقضت خمس وأربعون دقيقة حتَّى ظهرت نهاية لسيرهم، وهم ينحدرون نحو مبنى ضخم، تصطف إلى جواره عربات جيب عسكرية، ومُحاط بأسوار شائكة وأبراج حراسة تبدو خالية، وأجهزة مراقبة ورصد فوق الأسوار الشائكة.

بحث عن علم (مصر) أو أي علامة في المبنى، ولكنَّه خاليًا من أي إشارة للجهة التي تملكه.

سار الأربعة للطرف البعيد نحو بوابة مصنوعة من ذات الأسلاك التي تحيط بالمبنى.

كمن (عاصم) وراء صخرة، وراقب من يرتدي ثياب الجيش يُهرع إلى البوابة، ليفتحها للقادمين، وتحدث معهم لحظات قصيرة قبل أن يُغلق البوابة ويسير معهم إلى داخل المبنى.

مكث (عاصم) في موضعه قرابة ساعة، وحين تحرك ليجد لنفسه موضعًا آخرًا يعطيه رؤية أفضل، وجد الجنود يخرجون من المبنى ومعهم (عُمر) وقد أُحيط رأسه بضمادة، وركب الجميع سيارة جيب، و.. واختفوا..

*** * ***

محمد:

- ماذا تعني بـ "اختفوا"؟

عاصم:

- تقدمت عربة الجيب بضعة أمتار واختفت تمامًا.

نور:

- ألا يوجد طريق في الجبال يقود للمكان؟

عاصم:

- لا، وهذا غريب، كيف تم إنشاء المكان دون طريق تؤدي إليه؟!

حُذَيْفة:

- لا بد من طريق.

قال الدكتور (مختار) وهو يشير بسبابته إلى الأعلى في إشارة واضحة:

- يوجد طريق.

هتف (عاصم):

- المروحية، الطائرة المروحية، لقد نسينا أمرها.

فتحي:

- ولكن هذا لا يفسر وجود عربات الجيب العسكرية، واختفاء العربة.

الدكتور (مختار):

- العربة دخلت نفقًا.

فتحي:

- نفق؟!

عبد الرحمن:

- نفق؟!

نور:

- نفق؟!

حُذيْفة:

- نفق؟!

الدكتور (مختار):

- هذا هو التفسير الوحيد لاختفاء العربة، إنَّها لم تتلاشَ في الهواء!

عاصم والتفكير في ملامحه:

- الآن وأنا استعيد المشهد، أجد هذا التفسير مقبولًا.

قال (حُذيْفة) مُستعجلًا:

- وماذا حدث بعد ذلك؟

*** * ***

بسرعة انتقل (عاصم) من موضع لآخر، وهو يحرص على أن يكون بعيدًا وأعلى من مواضع أجهزة المراقبة والرصد، والمكان يبدو خاليًا،

حتَّى بلغ موضعًا يقابل البوابة، وعلى مدخل المبنى جلس جندي على مقعد، يرتشف مشروبًا ما، وبجواره بندقيته، لحظات قصيرة انقضت، ليخرج من المدخل رجل وأمراة يرتديان ثياب الأطباء البيضاء.

* * *

فتحي:

- ثياب أطباء؟ هل المكان مستشفى عسكري.

عاصم:

- هذا ما يبدو عليه، والغريب أنَّ كل من فيه أجانب.

محمد:

- كيف علمت؟

* * *

سار الاثنان في ممر طويل يجاور المبنى، ويفصله عن ساحة توقف عربات الجيب العسكرية، حتى دخلا مكانًا بعيدًا، بحذر انتقل إلى مكان

آخر، ليطل على الجهة الأخرى من المبنى، ليرى حديقة واسعة مليئة بالأشجار والنباتات والمقاعد بخلاف الجهة السابقة الخالية من كل شيء باستثناء العربات العسكرية، وطبيب أو أكثر تخفيهم الأشجار.

عبقري من أعد المكان، الجبال جهة الحديقة كانت قاسية وشبه عمودية، وتُخفي الحديقة تمامًا، والمبنى يخفيها من الطرف الآخر، بحيث من يرى المكان يرسخ في ذهنه قسوته، وأنَّه عسكري خاص بالجيش.

تسلل (عاصم) إلى بقعة أخرى وبحذر أكبر، ورغم قسوة الجبال في هذه الناحية، كانت أصابعه تنشب في الصخور كالكلاليب، حتى أطلّ على شجرة كبيرة، تصنع حائلًا بينه آلة المراقبة في ركن المبنى، ليهبط بحذر على صخور الجبل إلى الحديقة.

الثقة.. السكينة.. الطمأنينة.. ثلاثة مشاعر تصف المكان ومن فيه، ثقة أن لا أحد يصل إلى هذا المكان في وسط الجبال.. ثقة في أمنه وحراسته.. ثقة في هيبة المكان وقسوته.. سكينة وطمأنينة ظاهرة في سير الجندي في الطرف القريب من المبنى.. في حديث الأشخاص الذين يرتدون ثياب الأطباء وقد انهمكوا في حوار طويل هادئ باللغة الإنجليزية..

حديث استغرق أكثر من ساعة، حتى انصرف هؤلاء.. وحانت الفرصة كي يقترب من المبنى، بحذر أطلَّ من النافذة..

حجرة مكتب.. عادية جدًّا.. كلَّا.. ليس هناك أشياء مخيفة كالتي أحبها..

بحذر فتح النافذة أكثر.. وقفز إلى الداخل.. واقترب من الباب مُلصقًا به أذنه.. لم يسمع شيئًا.. أنصت.. أيضًا لم يسمع شيئًا.. بحذر فتح الباب.. ليجد فتاة بملامح أوروبية واضحة، جالسة إلى مكتب صغير، ومُنهمكة في كتابة شيء ما على حاسوب أمامها ~ وما أدراني ما تكتبه؟ لم يذكر (عاصم) شيئًا عنه~ وإلى يمينها جدار زجاجي يفصلها عن ممر يكثر فيه الذهاب والإياب.

أغلق الباب بحذر شديد وأخذ ينظر في أرجاء المكتب، نظر إلى فتحة التهوية في أعلى وسط الجدار المقابل للمكتب، وطافت بباله خاطرة غريبة، هل مصممو ألعاب الفيديو يحاكون الواقع تمامًا؟

* * *

سطح المبنى خالي من كل شيء، وفي وسطه رسم دائرة بالدهان الأ...

* * *

حُذيْفة يسأل بدهشة:

- السطح؟! كيف بلغت السطح؟

محمد:

- حقًا! كيف بلغته؟

عاصم، والابتسامة تضيء وجهه:

- في تصميم المبنى من الخارج، كان هناك بروزان يمتدان من قاعدته إلى سطحه، وضعت ظهري على الأوَّل وقدمي على الآخر، وصعدت.

حكّ (حُذيْفة) رأسه ~ رُبَّما ليسمح لما سمعه بالمرور من خلال شعره الأجعد إلى مخه ~، قال:

- بهذه البساطة؟!

ضحكة صغيرة من (عاصم)، وهو يرد عليه:

- نعم، بهذه البساطة.

نور:

- وماذا بعد؟

قال (عاصم)..

***

...بيض وسطها حرف الهاء بالإنجليزية، مما دلَّ أنَّه مهبط للمروحيات، توجَّه نحو فتحة تشي بوضوح أنَّها مدخل يقود إلى داخل المبنى..

استوقفه حوار حاد يأتيه من القاعة الأولى التي قابلته على بعد أمتار قليلة من نزوله من السطح، الغريب هنا أنَّ الحوار بالعربية ~ العربية هي إحدى اللغات الموجودة في هذه الدنيا ~، دارى نفسه في ثنية بين الدرج الذي يقود إلى السطح وباب القاعة و.. أنصت..

*** * ***

5- القصَّابون

نظر الدكتور (حسام) إلى نظيره الدكتور (رايموند)، مستنكرًا.. رافضًا.. قال:

- رحلة شبابية هنا؟! هذا مستحيل، هذا المكان بعيد جدًّا عن أماكن الرحلات السياحية والكشَّافة، أو حتَّى للباحثين عن المغامرة والاكتشاف، كما ترى يا دكتور (رايموند)، هذه الجبال ليس فيها إلّا الجوع والعطش، حتَّى البدو لا يأتون إليها، الجيش نفسه لا يمر بهذه الأنحاء إلّا نادرًا ومعه تعليمات صارمة بتجاهل هذا الجزء، رحلة شبابية؟! هذا الشاب يكذب أو يُخفي أمرًا.

الدكتور (رايموند) بلغة عربية مُتْقَنة:

- الجنرال (بول) يتحقق من هذا الأمر، ونحن في انتظاره، السؤال هو ماذا سنفعل بهم؟ لا نريد إزعاجًا أو ضجيجًا يفضح أمرنا ويُفسد ما نفعله.

الدكتور (حسام):

- لا يستطيع أحد أن يدس أنفه في أمورنا، وجودنا هنا بعلم الحكومة والجيش، ولن يـ...

قطع الدكتور (رايموند) حديثه:

- يعلمون بوجودنا، ولا يعلمون بما نفعله، وما نفعله هو ما نخشى عليه.

الدكتور (حسام):

- بخصوص ما نفعله، كيف ترى النتائج؟

الدكتور (رايموند):

- النتائج رائعة، ولكن التكلفة المرتفعة تجعل ما نقوم به بلا فائدة، سيُصبح الأمر محصورًا بالأثرياء مع مخاطر عالية.

الدكتور (حسام):

- هل فكرت في ما اقترحته؟

الدكتور (رايموند):

- كثيرًا، كثيرًا جدًّا، بدل من إزالة العظام نقوم بعزلها عن باقي الجسد مع بقائها في مواضعها، حل إبداعي يقلل مخاطر فقد المريض إلى الصفر، ويقلل التكلفة إلى الحد الأدنى، ولكن صعب التنفيذ.

الدكتور (حسام):

- لماذا؟

الدكتور (رايموند):

- الكيفية يا دكتور (حسام)، ما هي الوسيلة التي نستطيع بها عزل العظام عن محيطها عزلًا تامًا، دون الحاجة إلى إخراجها من جسد المريض؟

الدكتور (حسام):

- ما رأيك لو نقوم بتغليف موضعي للعظام؟ مع استخدام موانع الانتقال لفصل العظم عن الجسد.

الدكتور (رايموند):

- حل يحتاج إلى عديد من التجارب، والتجارب تحتاج أشخاص، ورصيدنا منهم قليل، نحصل على ثلاثة أو خمسة أشخاص في الشهر بصعوبة شديدة، نأتي بهم وهم يحسبون أننا نعالجهم من الأمراض الخبيثة.

الدكتور (حسام):

- هل تعلم؟..

وصمت حتَّى حثَّه الدكتور (رايموند):

- أعلم ماذا؟

الدكتور (حسام):

- إذا صدق ذلك الشاب، فيعني أننا نملك ذخيرة كافية للقيلم بمحاولة.

الدكتور (رايموند):

- أي شاب تعني؟

الدكتور (حسام):

- الذي قُبض عليه اليوم، لقد أخبر الجنرال (بول) أنَّـهم مجموعة شبَّان يقومون برحلة شبابية في هذه الجبال.

الدكتور (رايموند):

- هذا الأمر مرهون بالجنرال (بول)، هو من سيحدد طريقة التعامل معهم.

الدكتور (حسام):

- يجب إخباره بحاجتنا لمزيد من الأشخاص للقيام بتجاربنا، يجب علينا إقناعه بحاجتنا لأجساد هؤلاء الشُبَّان.

الدكتور (رايموند):

- الجنرال (بول) لا يحتاج إقناع، العينات التي حصل عليها تجعله يلبي ما نحتاجه فورًا، ولكنه يقيس المخاطر على المشروع نفسه، سأخبره ونترك له القرار.

* * *

حُذيْفة والقلق يفترسه:

- ماذا سيفعلون بنا؟ ما يريدون منَّا؟

بعد نظرة عميقة إلى (فتحي)، سأل (عاصم):

- فتحي، أنت طبيب، هل تفهم شيئًا من حديثهم؟

فتحي قلقًا.. متوترًا.. ~ طبعًا، يا روح ما بعدك روح ~، أجاب:

- الحديث يدور حول تجارب للقيام بأمر ما في جسد الشخص، أمر يحتاج إلى فصل أو عزل عظام الشخص عن باقي جسده.

عبقري هذا الـ (فتحي).. لولا كلامه ما فهمنا شيئًا من الحوار السابق.. وهزَّ الجميع رؤوسهم مثلي فهمًا واعترافًا بفضله على أفهامنا.

محمد والقلق في كل شيء فيه:

- أنتم تتجاهلون الأمر المهم؟

تابع مجيبًا سؤالات أعينهم:

- إنَّهم يريدوننا نحن، يريدون أجسادنا لتجاربهم.

عاصم:

- لهذا يجب أنْ نقوم نحن بالخطوة القادمة.

نور:

- وهي؟

عاصم:

- نذهب نحن إليهم.

وثبوا جميعًا قيامًا باستثناء (عاصم) والدكتور (مختار)، ويصحب قيامهم

هتاف:

- ماذا؟

حُذَيْفة:

- بل يجب علينا الفرار.

محمد:

- الفرار بعيدًا.

فتحي:

- بعيدًا إلى آخر الدنيا.

نور:

- الدنيا التي نحبها ونرغب أنْ نعيشها.

عبد الرحمن:

- نعيشها كما نحبها.

جُبن.. أنانية مفرطة.. يرغبون في الفرار فقط.. لا أحد منهم يرغب في مغامرة رائعة.. لا أحد منهم يرغب في التضحية لأجلي.. لأجل حكاية مثيرة.. بدلًا من من هذه الثرثرة.. كُلّهم يحقدون عليَّ.. كُلّهم يريدونني أن أفشل.. حسبنا الله ونعم الوكيل.. حسبنا الله ونعم الوكيل..

الآن دور الدكتور (مختار)، ليكمل لعبة (آخر كلمة)، ولكن هذا أشار لهم بالجلوس، والتفت إلى (عاصم)، سأل:

- ماذا تعني بأن نذهب نحن إليهم؟

عاصم:

- أعني يجب الذهاب إليهم، (عُمر) في قبضتهم، ويجب إنقاذه.

هذا هو..

هذا هو (عاصم)..

الشاب الشجاع..

صديقي..

والزعيم رقم صفر..

الذي لا يعرف حقيقته أحد..

والمستحيل أن يكون ابن خالتك..

***

نـهض الدكتور (مختار) واتجّه إلى حيث (فتحي)، وأزاحه بيده كما تزيح الرغوة التي يتعمَّد بائع العصير صُنعها، حين تقوم بشرائه ~ العصير وليس بائع العصير ~ وقت الظهيرة في اليوم السابع من الشهر السابع من كل عام، وجلس بجوار (عاصم)، سأل:

- هل لديك خطة؟

محمد وهو لا يزال واقفًا ~ استعدادًا للفرار ~:

- لماذا لا نقوم بإبلاغ الشرطة أو الجهات المُختصة؟

نظر له الدكتور (مختار)، وببرود قال:

- غريب أمرك، ألم تقاتلني قبل قليل لأنني اقترحت ذات الشيء؟

فتحي وقد صار لـ (محمد) نصيرًا وظهيرًا:

- لأننا لم نكن نعلم ما علمناه، هؤلاء موجودون بعلم الحكومة وتحت رعايتها.

عبد الرحمن وقد أكثر سواد الفارّين:

- ويملكون السلاح والعتاد وأعدادهم كبيرة.

نور وقد رفع لواء الجُبن ~ الجُبن هنا بمعنى الخوف، وليس ما يصنع من الحليب، بالله عليك، اترك بطنك لحظة ~:

- ولو قبضوا علينا لصرنا فئران تجارب عندهم.

نظر (عاصم) لهم، وبهدوء قال:

- ولكن هناك نقطة ضعف فيهم، تمنحنا قوة وتفوقًا عليهم.

فتحي:

- وهي؟

الدكتور (مختار):

- إنَّ ما يقومون به ليس شرعيًا ولا إنسانيًا، ودون علم الحكومة، وهذه النقطة مهمة جدًّا، وتعمل لصالحنا.

هتف (حُذيْفة):

- وماذا لو قُبض علينا؟ سنصبح فئران تجارب.

عبد الرحمن وأنفاسه تقذف بكلماته:

- بل سنصير أمواتًا.

يا أخي، المغامرة الحلوة تحتاج تضحيات، ذرة شجاعة فقط، ذرة شجاعة..

عاصم:

- لو وضعنا خطة جيدة، سننجح في هزيمتهم وفضح أمرهم، واستعادة (عُمر).

فتحي:

- يبدو أنَّك تتخيلنا فريقًا للمهمات الخاصة.

عبد الرحمن:

- أو أحد فرق الصاعقة في الجيش.

محمد:

- أو رجال مخابرات في إحدى روايات الجاسوسية.

ليتكم واحدة مما قلتم، لا هم لكم غير الثرثرة والفرار..

الدكتور (مختار):

- هل كذبتم في إجاباتكم؟

حُذيْفة:

- أيّ إجابات تلك التي تتحدث عنها؟

عاصم:

- الانضمام لهذه الرحلة، اشترط على الراغب أن يكون قد أنهى الخدمة العسكرية الإلزامية.

صاح (محمد):

- إنَّها أمر إجرائي يجب القيام به، هذا لا يعني أنَّنا صرنا فرسانًا لا يُشق لهم غبارًا.

صمت الجميع مع نهاية جملته، صمت التهم البُرْهة، ليضع (عاصم) عينيه في أعينهم، ويقول:

- أنا أرغب في إنقاذ (عُمر)، وفضح طبيعة هذا المكان، من سيشاركني هذين الأمرين؟

صمت الجميع وعادوا للجلوس برؤوس منكسة، بُرْهة.. بُرْهة.. بُرْهة.. بُرْهة..

نور:

- أنا سأشارك.

أهلًا وسهلًا.. أهلًا وسهلًا.. ذو "دادي" سيشارك في إنقاذ (عُمر).. وماذا ستفعل حين يهاجمك أحد ما؟ هل ستنادي له "مامي" أم "تيتة"؟ حسبنا الله ونعم الوكيل، حسبنا الله ونعم الوكيل، يا أخي.. يا.. الصبر.. الصبر يا رب العالمين..

نظر له رفاق الفرار، لقد خانهم، لم تتكلم ألسنتهم وثرثرت عيونهم، قال الدكتور (مختار) وهو ينظر إليه:

- هذه المهمة خطـ...

قطع (نور) حديثه بصرامة:

- سأشارك (عاصم) في هذه المهمة.

تراشق مع الدكتور (مختار) النظرات.. لا تفعل.. سأفعل.. المهمة خطيرة.. ولو.. الخ..

هنا عاد يخيِّم ما يجيدونه بعد الثرثرة.. ~ نعم، هو الصمت ~..

...

...

1000×...

عبد الرحمن:

- هل لديك خطة جيدة؟

وثب (محمد) قائمًا، ليهتف:

- هل ستشاركهم هذا الجنون؟

نظر إليه (عبد الرحمن)، قال:

- لا بد من بداية، لتكن هذه هي البداية.

فتحي:

- السلطات أو الجهات المعنية تقوم بإجراءات معينة حين إبلاغها، ورُبَّما حين تتحرك يكون الوقت قد فات، وأخفى هؤلاء أثار جرائمهم.

نور:

- هل يعني هذا أنَّك تنضم إلينا؟

ابتسامة صغيرة، يليها الجواب:

- لقد خرجنا في مغامرة، لماذا نهرب منها حين جاءتنا؟

محمد:

- هل سأكون الجبان فيكم؟

عاصم:

- رفض المشاركة لا يعني الجُبْن.

محتدًا، مغتاظًا، سأل (محمد):

- وماذا يعني إذًا؟

فتحي:

- يعني أنَّك تفضل وسائل أخرى.

محمد:

- أنا لن أشارك.

حُذيْفة:

- أنا لن أشارك أيضًا.

الدكتور (مختار):

- لا بأس، هذا قراركما وسنحترمه.

فتحي:

- الآن، هل لديكم خطة جيِّدة؟

عبد الرحمن:

- بل، هل لديكم خطة جيِّدة جدًّا؟

نور:

- خطة تضمن إنقاذ (عُمر) وعودتنا أحياء.

عاصم، وابتسامة انهكها الطريق إلى وجهه:

- سنحاول ذلك.

* * *

6- الهجوم

- ماذا جاء بهم إلى هنا؟

سأل الجنرال (بول) وهو ينظر إلى شاشة تنقل له صور قادمة من طائرة درون، صور (محمد) و(حُذيْفة) و(عبد الرحمن) وهم جلوس في جانب الجبل ~ غريب هذا، لقد وصفت المشهد هناك بدقة، ولم تكن هناك أي طائرة في السماء، أممم.. رُبَّما جاءت حين انشغلت بحديثهم ~.

كان واقفًا في غرفة صغيرة تمتلئ بشاشات تنقل كل ما حول المبني ~ صحيح، المبنى الذي تسلل إليه (عاصم) ~، أمامه الجندي المسؤول عن متابعة ذلك، جالسًا على مقعد صغير.

أجاب الجندي سؤاله:

- لا أعلم.

نقلت الشاشة إليهم مشهد (نور) وهو يركض نحو الثلاثة، مما جعل السؤال التالي حاضرًا على لسان الجنرال:

- كم عددهم؟

الجندي:

- خمسة أشخاص، مع احتساب الذي ألقينا القبض عليه.

الجنرال:

- هل هناك المزيد منـهم؟

الجندي:

- حتَّى الآن، لم نر سوى هؤلاء الخمسة.

الجنرال:

- ماذا يفعلون؟

الجندي:

- التسكع والثرثرة ~ صدقت، هذا ما يفلحون فيه ~.

الجنرال:

- أين مقرهم؟ أين يُخيّمون؟ أين متاعهم؟

مُستخدمًا جهاز كأجهزة التحكم عن بعد لألعاب الأطفال، أدار الجندي الطائرة حول الجبل ثم أوقفها، قال:

- هنا.

مال الجنرال من فوق كتف الجندي نحو الشاشة، سأل:

- هنا! أين؟

ويده تشير إلى بقعة في الشاشة، قال الجندي:

- هذه البقعة السوداء التي تحيط بها الأشواك، هي مقرهم.

دقق الجنرال في المشهد، قال:

- هل يحاولون إخفاء مكانهم؟

الجندي:

- رُبَّما، لم استطع كشفه حتَّى غادره ضعيف البِنْية ليلحق برفاقه.

اعتدل الجنرال، وأمسك بذقنه مفكرًا ~ لا أعلم العلاقة بين الإمساك بالذقن وعمق التفكير، رُبَّما التفكير العميق يجعل الرأس ثقيلًا، أليس تفكيرًا عميقًا؟ فهو حتمًا ثقيلًا ~، قال بعد ما أخذ وقته:

- هل ينتظرون شيئًا؟

الجندي:

- رُبَّما، لا استطيع التيقن من شيء، لقد عثرت عليهم منذ وقت وجيز بعد بحث طويل، المعلومات التي زودتني بها لم تكن كافية.

عاد الجنرال إلى صمته، ثم قال:

- لا يبدون كالبدو، ولا تجَّار السلاح والمُخدرات.

عقَّب الجندي:

- ثيابهم، سلوكهم، يخبران أنَّهم من الطبقة المثقفة.

الجنرال:

- حقًا.

هل هناك سُخرية في صوته؟

الجندي:

- ماذا قال زميلهم الذي أمسكنا به؟

لم يجبه الجنرال، بل قال في حسم:

- لن أتردد أكثر، سنحسم أمرهم.. الليلة..

*** * ***

حاول (محمد) أن يجد مكانًا أكثر راحة لشحومه، وسأل (حُذيْفة) هامسًا:

- لماذا جئنا إلى هذا المكان؟

حُذيْفة وهو يجاريه:

- لا أعلم سبب إصرار الدكتور (مختار) و(عاصم) على ترك كهفنا.

نظر (محمد) إلى السماء فوقه والنجوم بازغة، مشهد نادرًا ما رآه بهذا الجمال.. بهذا السكون.. ولولا لسعة برد خفيفة.. وما هم به لكانت ليلة شاعرية حقًا..

حُذيْفة:

- محمد..

محمد:

- ماذا؟

حُذيْفة:

- هل تظن أنَّنا جُبناء؟

أطل عليهما (عبد الرحمن) من فوق، وهو يجاري همسهم:

- لا، ولكنكما تحبان المغامرة بلا مخاطرة.

همس (حُذيْفة):

- وهل توجد مغامرة بلا مخاطرة؟!

عبد الرحمن:

- اسأل نفسك.

محمد وقد أوشك على تجاوز ما اتفقت عليه البشريَّة إنَّه همسًا:

- هذه ليست مخاطرة، هذه حماقة، أفراد مدربون لا نعلم عددهم يحملون البنادق، مكان مؤمن، أناس يرغبون في إجراء تجارب علينا، تجارب قد تؤدي لمقتلنا، ونذهب إليهم بأقدامنا، ماذا تسمي هذا؟ حماقة أم ماذا؟ أم تحسبون أنَّنا فريق العمليات الخاصة في إحدى الروايات؟

- هششششش... هششششش..

من أين جاءت هذه الـ "هششش"، تراجع (عبد الرحمن) لموضعه وهو يقول:

- ولماذا لا نكون فريق العمليات الخاصة؟

لم يجبه أحد، و"هششش... هشششششس"، من يقول "هششششش"؟ على الأقل حتى أكتب اسمه قبلها..

همس (حُذيْفة):

- الآن أسأل نفسي، حقًا، ما هي المغامرة؟

محمد، هامسًا:

- هي مواجهة الخطر، مع اليقين بهزيمته والرجوع سالمًا، والحماقة هي مواجهة الخطر، مع اليقين بانتصاره والذهاب للرفيق الأعلى.

إجابة أكاديمية، يبدو أنَّ (محمدًا) هذا كان مدرسًا في إحدى الجامعات التي تملأ طول البلاد وعرضها، ~ أتمنى من محمدٍ هذا - إن قرأ هذه اليوميات يومًا - أن يلاحظ أنني حرصت على صرف اسمه، رغم قدراتي النحوية والصرفية المتواضعة~.

"هششششس... هشششش"، لا أعلم، هل من "يهش" يسوق حمارًا أم يدعوهم للصمت؟ اسمك يا هذا حتَّى تدخل التاريخ من أوسع أبوابه.

نظر (محمد) حوله ليرى صاحب الـ (هششششش) فلم ير أحدًا، فعاد إلى خير ما يفعله.. النوم..

* * *

استيقظ (محمد) على من يهزّه بقوة، فتح عينيه بصعوبة ونظر في هذا الظلام الدامس، قال:

- ماذا هناك؟

- هسسسسس، لا ترفع صوتك، هيا، لقد جاءوا.

محمد:

- من الذين جاءوا؟ مَن أنت؟

- هسسسسسس، مَن أنت؟

محمد:

- أنت مَن؟

- مَن أنت؟

محمد:

- أنت مَن؟

- مَن أنت؟

محمد:

- أنا (محمد).

- محمد؟! ما الذي جاء بك في مكان (فتحي).

محمد:

- فتحي؟! (فتحي) مَن؟

يبدو أنَّ شريط الرحلة قد مُحي بالكامل من مخٍّ (محمد)..

- أكمل نومك.

محمد:

- طيِّب.

وعاد لنومه..

*** * ***

راقب الجنرال (بول) المروحية وهي تضيء أنوارها مبكرًا وتهبط بخشونة ودون إحترافية كالتي اعتادها على سطح المبنى، وشاهد الطيار يقوم بحركات شاذة وهو يتحدث مع مَن معه، يبدو أنَّ الأمور لم تسر على ما يرام، أطفأ الطيَّار أنوار الطائرة قبل حتَّى نزول الجنود منها، ماذا حدث؟

هبط الجنود والطيار يتقدمهم نحو الجنرال (بول)، هناك شيء ما غريب حول الجنود، الجنود مرهقين ومشعَّثين، وملامحهم مختلفة في أضواء السطح الخافتة.

لم يستطع تمالك نفسه أكثر، فصاح:

- ماذا حدث؟

فوجئ بالطيَّار يثب نحوه ويغرس فوهة بندقيته في عنق الجنرال، ويقول بإنجليزية جيدة:

- لا شيء.

يا سلام.. ما أروعك.. ما أبدعك.. هذا صوت (عاصم).. هذا صوت الضرغام.. لكن كيف حدث هذا؟.. كيف؟..

* * *

هبطت المروحية مُطفأة الأنوار في وسط الجبال، وبسرعة واحترافية قفز جميع من على متنها باستثناء الطيَّار، الذي أوقف المحركات و.. ينتظر..

قال زعيم الجنود بإنجليزيته الأمريكية:

- العملية سهلة، نحن لا نواجه جيشًا أو أشخاصًا مدربين، ولا أتوقع حدوث صدام أو معركة، سنلقي القبض على الجميع ونعود سريعًا.

وافقه جنوده بالصمت الرهيب، كان هبوطهم بعيدًا عن مكان الهدف من باب الحيطة والحذر، الذي فرضتهما طبيعتهم العسكرية..

تقدمهم زعيمهم نحو الهدف..

الزعيم يسير.. وجنوده السبعة يتبعونه في حذر.. في طابور طويل.. ويسير ويسيرون.. يسير ويسيرون..

الزعيم يسير.. وجنوده الستة يتبعونه في حذر.. في طابور طويل.. يسير ويسيرون.. يسير ويسيرون..

الزعيم يسير.. وجنوده الخمسة يتبعونه في حذر.. في طابور طويل.. يسير ويسيرون.. يسير ويسيرون..

...

...

الزعيم يسير.. وأحد جنوده يتبعه.. حتَّى اقترب من باب الكهف بأشواكه التي تحجبه عن الأنظار، التفت إلى الوراء ليعطي إشارة إلى جنوده بالاستعداد للهجوم، ليجد الجندي الذي يتبعه يثب نحوه ويغرس بندقيته في عنقه، وصوت الدكتور (مختار) يقول بإنجليزية وشراسة:

- ألق سلاحك.

المفاجأة لم تترك للزعيم سبيلًا سوى إلقاء سلاحه، نظر حوله، وجد نفسه وحيدًا من غير جنوده.. أين ذهبوا؟.. لا يهم.. وجاء آخر.. وبدأ الإحراج.. يخلعون ملابسه ويتركونه في ملابسه الداخلية.. ثم يوثق

الآخر وثاقه ويضع قطعة قماش في فمه.. وعلى فمه.. ويُحمل ويُوضع في ركن الكهف مثل شوال بطاطس.. إلى هنا ثُمن الإحراج.. ومع قدوم جندي آخر بلغ الإحراج الثمنين.. وبالثالث ثلاثة أثمان الإحراج.. حتَّى اكتمل النِصاب.. الإحراج كاملًا.. ثمانية جنود.. بثيابهم الداخلية.. ويا عيني..

***

ألهى الطيَّار نفسه بمراقبة الجبال في الظلام الدامس، ومشاهدة الظلال المُبهمة وتخمين طبيعتها، حتَّى فُوجئ بباب المروحية يُزاح، التفت مدهوشًا، ونظر إلى الهيئة المُعتمة لجندي يدخل المروحية، من أين جاء؟ كيف لم يره؟ وقال مدهوشًا:

- هل أنجزتم المهمة؟

فوهة باردة لمسدس على خده ~ غريبة، كنت أظنَّهم يفضلون غرس السلاح في العنق ~، وصوت (نور) يجيبه:

- نعم، أشعل المصابيح واحذر من فعل شيء لا يروقني.

مد الطيَّار يُسراه لزر أمامه، لتُضاء الطائرة، وينتاب الخزي الطيَّار، من يهدده ضعيف البنية، كأنَّه فتى في الثانوية العامة، ويحاول أن يبدو كبالغ، ثم أدرك أنَّ من أخضعه المسدس وليس ضعيف البِنْية، سأل:

- أين الآخرون؟

نور:

- أرسلوني لإحضارك، هيا.

نهض الطيَّار من مقعده وتوجه إلى باب المروحية، وشعر بـ (نور) ينزع المسدس من على فخذه، و..

ظهر (فتحي) عند الباب، ونظر إلى الطيَّار الفاقد الوعي، ثمّ إلى (نور)، قال:

- يجب أنْ تخبرني سِرّ هذه الحركة، أريد أن أعلم كيف تضع يدك على عنق إنسان فيفقد وعيه؟

نور:

- أسرار فنيَّة، الساحر لا يخبر أحدًا كيف يقوم بحيلته.

يا سلام.. أسرار فنيَّة.. أصبر.. أصبر قليلًا.. سأصرفك.. سأصرفك حتَّى لو احتجَّت المجامع اللُغوية في الدَّنيا كُلّها..

بسرعة خلع (نور) عن الطيَّار ثيابه، وأوثقه بشعاره ~ الثوب الداخلي الذي يلامس الجسد ~ بعد أن مزَّقه، وحمل (فتحي) الطيَّار على كتفه، وقبل أن يسير بحمله قال:

ـ ألم يكن من الأفضل لو أجبرناه على السير معنا، وأوثقناه هناك؟

نور:

ـ أخطاء المبتدئين.

* * *

ـ أَنت تستطيع قيادة هذه؟

بشك.. باستغراب.. بقلق.. وجَّه (عبد الرحمن) السؤال إلى (عاصم).

نظر (عاصم) إلى (عبد الرحمن) الجالس في المقعد المجاور للطيَّار، وأكمل نظره طريقه إلى الجزء الخلفي من الطائرة، حيث (فتحي) و(نور) والدكتور (مختار)، قال:

ـ رُبَّما لست مُحترفًا، ولكنني استطيع قيادتها.

فتحي والقلق في كلماته:

- لماذا لا نسير إليهم؟

الدكتور (مختار):

- لأنَّهم سيكشفون أمرنا، ولكن أن نهبط عليهم بطائرتهم، فستكون مفاجأة لهم.

عبث (عاصم) فيما أمامه ~ ولا أجد كلمات أفضل من هذه لوصف ما يفعله (عاصم) ~، يبدو كمن يبحث عن إبرة في صندوق إبر ~ التجديد يتطلَّب منّي التخلي عن كلمة قش ~، هنا.. هناك.. ودارت محركات المروحية ومروحتها العملاقة..

- بداية جيِّدة.

قالها فتحي، ثم ندم عليها حين ارتفعت المروحية، لا أجد وصفًا للمروحية وهي تطير، إلا تشبيهها برجل سكير، يتطاوح يمينًا ويسارًا، يسير خطوة للأمام ثم يتهاوى إلى اليمين، ثمّ يجد اليسار أفضل له.. وهكذا..

ولكن بعد حين بدأت الأمور تتحسَّن وينتظم طيرانها.. وأُطفأت الأنوار..

* * *

7- الجنرال (بول)

أحاط الآخرون بالجنرال (بول)، وأسلحتهم مُشهرة نحوه، قال الجنرال بهدوء:

- لا يوجد سببًا لما تفعلونه.

بغل غرس (فتحي) بندقيته في صدغ الجنرال، قال:

- حقًا، لا ترى في قتلنا وجعلنا حيوانات تجارب سببًا كافيًا لما نفعله؟

الجنرال يبدو في عالم آخر، وهو يكرر كلماته كأنَّه يتفكَّر فيها ويتأملها:

- قتلكم!.. حيوانات تجارب!.. من أوحى لكم بهذا الهُراء؟

لكزه (عاصم) بالبندقية، قال:

- سر أمامي، واحذر من فعل شيء لا يعجبني.

ساروا حتَّى بلغوا القاعة الواسعة التي ينتهي عندها الدرج المؤدي إلى السطح.

نظروا إلى القاعة الفخيمة، التي تبدو أشبه بقاعة استقبال أو جلوس، قال (فتحي):

- أين الدكتور (حسام)؟

بحدة أدار الجنرال رأسه إليه، سأل:

- أتعرفون الدكتور (حسام)؟

(عاصم):

- وأمه وأبيه.

نور:

- وصاحبته وبنيه.

عبد الرحمن:

- وقبيلته التي تأويه.

إنجليزيتهم جيدة هؤلاء الشباب..

لكز (فتحي) الجنرال ببندقيته مرَّة أخرى، قال:

- والآن، أين هو؟

الجنرال (بول):

- أظنّه في فراشه، الساعة الآن الثالثة بعد منتصف الليل.

عاصم:

- المهم الآن (عُمر)، أين هو؟

الجنرال:

- عمر، مَن (عُمر) هذا؟

جاء دور (عبد الرحمن) ليلكزه، وقال:

- الشاب الذي أمسكتم به في الصباح.

الجنرال (بول):

- أظنّه نائمًا أيضًا، الساعة الآن الثالثة بعد منتصف الليل.

عاصم:

- نحن نعرف الوقت، لا حاجة لتذكيرنا به كل حين، نائم أين؟

الجنرال (بول):

- في حجزه؟

فتحي:

- وأين حجزه هذا؟

الجنرال (بول):

- استخدم المصعد لتهبط إلى الطابق الثالث تحت الأرض، ستجد جندي، تأكَّد أنَّه الجندي (وولفرين) المسؤول عن السجين، وأخبره إنَّك جئت لأخذ السجين للجنرال (بول).

عبد الرحمن:

- بهذه البساطة؟

نظر إليه الجنرال، أجاب:

- نعم، بهذه البساطة.

فتحي:

- والآن، أين المُسمى الدكتور (حسام)؟

الجنرال:

- أخبرتك أنَّه نائم الآن.

أشعر أنَّ الجنرال يتعامل معهم بهدوء شديد، وبساطة بالغة، كأنَّ لا خطر هنا عليك، لا قلق.. لا خوف..

عاصم:

- أوقظه، وأطلب منه أن يأتي إلى هنا.

امتدت يد الجنرال إلى جيب بنطاله العسكري، ليُفاجأ بضربة قويّة من (نور) على يده، والأخير يقول:

- ماذا تفعل؟

نظر له الجنرال، بهدوء أجاب:

- أُخرج هاتفي.

نور:

- أنا سأفعل.

وتناول الهاتف من جيب الجنرال، وأعطاه له، ولكزه (عبد الرحمن) ~ هؤلاء ليس عندهم إلّا اللكز ~، وهو يقول:

- احذر الألاعيب.

فتحي:

- ثمنها هو رأسك.

الجنرال (بول):

- ليس هناك ما يستدعي الألاعيب.

ضغط أزرار هاتفه.. الدكتور (حسام).. معذرة على إيقاظك.. نريدك في قاعة الاستقبال العلوية.. نعم، الآن.. نعم، هام جدًّا.. وأغلق الهاتف..

نظر إليهم.. قالت عيناه:

- هل أنتم سعداء؟

أجابتهما عيون خرصاء..

****

عبر الدكتور (حسام) الباب الداخلي لقاعة الاستقبال العلوية، ليجد بندقتين من اليمين ومن اليسار تنغرسان في عنقه، بذعر.. بهلع.. صاح:

- ماذا هناك؟

فتحي وهو يحاول أن يبدو شرسًا.. شرسًا جدًّا:

- اخرص، لا تتكلم.

جاءه صوت الجنرال (بول) يقول:

- اهدأ يا دكتور (حسام)، لا داعي للقلق.

انتبه الدكتور (حسام) في هذه اللحظة إلى الجنرال (بول)، وهو جالس وقد وضع ساقًا على ساق ~ ألم أقل لكم أنَّه يتصرف بأريحيَّة بالغة، ما هذه الرحلة؟ بل، ما هذه المغامرة؟ حتَّى الأعداء لا يتصرفون بشراسة.. بوحشية.. حسبنا الله ونعم الوكيل ~ وحوله (عاصم) و(نور) يشهران بندقيتهما نحوه..

مشهد الجنرال (بول) بثَّ شيئًا من الطمأنينة في قلب الدكتور (حسام)، فسار نحوه بأمر السلاح، وجلس بجواره، قال بلسان لم يتركه الذعر:

- ماذا هناك؟

عاصم:

- لقد جئنا إليك بدلًا من أن تذهب إلينا.

الدكتور (حسام):

- ماذا؟

فتحي:

- والآن، أخبرنا.. ماذا تريد أن تفعل بنا؟

بخوف.. بهلع، قال الدكتور (حسام):

- أفعل بكم! ماذا أفعل بكم؟

عاصم:

- أخبرنا أنت، ألست من تحتاج بشرًا لتجاربك؟ كي ترى طريقتك الجديدة في عزل العظام.

الدكتور (حسام):

- مم.. م.. ماذا؟

وبابتسامة خائفة، تابع:

- ييي.. ي.. يبدو أنَّ.. أنَّ هناك خطأ أو سوء فهم.. ن.. نحن.. أ.. أطباء.. نقوم بمحاولة.. علاج السرطان.. ب.. ببأسـ لوب.. جديد..

فتحي:

- أسلوب جديد؟ اختطاف البشر، وإخضاعهم لتجاربك، وقتلهم، تُسّميه أسلوبًا جديدًا؟

ابتلع الدكتور (حسام) ريقه بصعوبة شديدة، سأل:

- كيف علمتم هذا؟ أنـ..

قاطعه الجنرال (بول) بالإنجليزية:

- إنَّـهم لا يعلمون شيئًـا.

التفتت الرؤوس إلى الجنرال، مدهوشًا سأل (فتحي):

- أتفهم العربية؟

هزَّ الجنرال (بول) رأسه إيجابًا، قال:

- أفهمها ولا أتحدثـها.

نور:

- أخبراني، لم يحتاج علاج السرطان مبنى غامضًا، وسط الجبال، بعيدًا عن العمران. محاطًا بحراسة؟

الجنرال (بول):

- لقد نسيت شيئًا هامًا.

سأله (نور) بعينيه عمَّا هو، فتابع الجنرال:

- الطبيعة العسكرية للمكان.

متعاون جدًّا هذا الجنرال، هادئ، وقور، مُتسامح، ماذا نريد أكثر من هذا؟ لماذا تُصرُّ السينما وروايات الحركة والإثارة على تصويرهم بعقول صغيرة ووجوه صارمة، يتعاملون مع كل شيء بوحشية وشراسة؟

وثرثر الجنرال:

- ما يقوم به الدكتور (حسام) وزملاؤه له جانب مدني، ولكن التمويل يتم من جهة عسكرية.

عبد الرحمن:

- وماذا يستفيد الجيش من تمويل أبحاث مدنية؟

الجنرال (بول):

- هل تعلم عدد الجنود الذين يصابون بالسرطان في الحروب؟

فتحي:

- وما الذي يصيبهم بالسرطان؟

الجنرال (بول):

- القذائف الملوثة، القنابل حاملة الإشعاع، القنابل النووية، وغيرهم.

- لماذا (مصر)؟

جاء السؤال على لسان (عاصم)، وأجابه الجنرال:

- يمكنك القول أنَّ الضوابط التي تحكم عملنا أكثر تساهلًا في مصر عنها في الولايات المتحدة الأمريكية.

عبد الرحمن:

- تقصد أنَّكم تستطيعون الفرار من العقاب حين مواجهتكم بجرائمكم.

الدكتور (حسام) بالإنجليزية:

- لا توجد جرائم، نقوم بتجاربنا على أُناس لا أمل في نجاتهم.

مال (عاصم) نحوه، قال:

- السؤال هنا، هل يعلمون طبيعة تجاربكم وأنَّها تؤدي إلى الموت.

رفع الدكتور (حسام) سبابته، وقد ذهب عنه الخوف، وأنَّه في محاضرة علمية، قال:

- قد، قد تؤدي إلى الموت، المريض لا يهتم بتقنية العلاج بل بالعلاج نفسه.

أشار (عاصم) إلى (فتحي) و(عبد الرحمن)، قال:

- اذهبا لإحضار (عُمر).

نظر إليهما الجنرال (بول)، قال:

- تذكرا، ابحثا عن الجندي (وولفرين)، هو فقط من يستطيع إحضاره لأجلكما.

قمة التعاون.. كم أرغب في مناداة هذا الجنرال بـ "ماما"..

ونظر (عاصم) إلى الدكتور (حسام)، قال:

- وما مصير من يفشل علاجه؟

الدكتور (حسام):

- نُعيده إلى أهله.

أوشك (فتحي) على عبور باب القاعة، حين سمع الجواب، فعاد مسرعًا.. غاضبًا.. هاتفًا:

- أيُّها الكاذب، بل تُلقي جثثهم في الجبال كي تأكلها الذئاب.

نور:

- هناك الكثير من الكذب في حديثك يا دكتور (حسام)، وهذا ليس في صالحك.

عاد الدكتور (حسام) إلى واقعه، وأنَّه أسير مسلحين، فابتلع ريقه، قال:

- ا.. اس.. اسمعني يا هذا، رُبَّما تحدث تجاوزات، لكن النتائج التي نحققها تغفر لنا كل شيء.

مرَّة أخرى أشار (عاصم) إلى (فتحي) بالذهاب، وتحدث إلى الدكتور (حسام):

- نحن من سيقرر هذا..

* * *

8- وولفرين

أصلح (فتحي) و(عبد الرحمن) زيَّهما العسكري أمام مرآة طويلة هي جزء من زخرفة الباب الداخلي لقاعة الاستقبال العلوية، ثمّ سارا في الممر يبحثان عن المصعد، الحجرات على جانبي الممر مغلقة، ولا أثر لـ.. هذا هو المصعد.. في الطرف البعيد من الممر.

أخذ المصعد طريقه للأسفل، وتوقف في الطابق الثالث، ليدلف رجل بملامح أجنبية يرتدي ثياب الأطباء، نظر إليهما.. ألقى التحية.. ضغط زر الطابق الأرضي ليواصل المصعد رحلته.. التفت إلى يساره.. نظر إلى (فتحي).. نظر جيِّدًا.. توقف المصعد في الطابق الأرضي.. غادره.. وقبل أن يُوصد المصعد.. أوقفه بيده.. نظر إلى (فتحي).. سأل بالإنجليزية:

- من أين الجندي؟

فتحي:

- من اليمن.

مبتدئون.. مبتدئون.. مبتدئون.. ولماذا لم تقل له يا دكتور (فتحي) أنَّكم ذاهبون في رحلة إلى حدود العالم لمعرفة الحقيقة وإجابة سؤال.. أكروية هي أم مسطحة؟ لماذا لم تقل له أنَّك ذاهب الآن لإنقاذ زميلكم (عُمر)؟..

حسبنا الله ونعم الوكيل.. أين الاحترافية؟.. أين المكر؟ أين سرعة البديهة؟.. من أين الجندي؟ من يمنوت في ولاية تكساس.. وليذهب إلى ولاية تكساس يبحث عن يمنوت التي ابتكرتها أنا الآن.. أين الذكاء؟.. أين الدهاء؟..

لكن من يرتدي ثياب الأطباء هزَّ رأسه وواصل سيره.. وعاد باب المصعد يُوصد..

وتهكَّم (عبد الرحمن):

- من اليمن يا (فتحي)؟

فتحي:

- لقد خانتني سرعة بديهتي..

توقف المصعد وخرجا، أشار (عبد الرحمن) إلى (فتحي) بالتوقف، قال:

- انتظر هنا، أنا سأذهب وحدي.

فتحي:

- ولم؟

أشار (عبد الرحمن) إلى وجهه وملامحه البيضاء، القريبة من الملامح الأوروبية، قال:

- لأجل هذا.

فهم (فتحي) مقصده، لون بشرته السمراء يجعله موضع شك، رغم علمه بالتنوع العرقي في الجيش الأمريكي، ولكن يبدو أنَّ من اختار جنود هذا المكان، حرص على نمط معين.

سار (عبد الرحمن) وهو ينظر للمعامل الفارغة في هذا الوقت، بضع حجرات مغلقة، لم تكن هناك حاجة لفتحها، اللافتات تقول إنَّها أماكن تخزين لاحتياجات المكان.

عاد إلى (فتحي)، قال:

- لا يوجد شيء.

فتحي:

- ماذا تعني؟

عبد الرحمن:

- أعني أنَّه لا يوجد بشر في هذا المكان.

فتحي:

- هل خُدعنا؟

أمسك (عبد الرحمن) بذراعه ويده الأخرى تضغط زر استدعاء المصعد، ويقول:

- هيا بنا، علينا أن نُسرع.

فُتح المصعد.. وهنا تفصيلة صغيرة.. صغيرة جدًّا.. أحب أن أذكرها لأنَّها تخدم أحداث هذه المغامرة.. حين فُتح المصعد.. فُتح من جانبين.. الجانب الذي يقفان أمامه.. والجانب الأخر.. حيث يمتد جزء آخر من الطابق.. ممر طويل وفي الجزء البعيد منه، جندي يمارس تدريبات الضغط على الحائط واقفًا..

الدهشة ألجمتهما.. يبدو أنَّ هذه التقنية لم تصل (اليمن) ولا (الجزائر).. مساكين.. المَنْدي والسفر إلى (فرنسا).. شغلهما عن أشياء كثيرة..

عبد الرحمن:

- يبدو أنَّه لم يخدعنا.

ترك (فتحي) في مكانه وعبر المصعد إلى الجانب الآخر، وسار نحو الجندي، توقف.. سأل بالإنجليزية:

- الجندي (وولفرين)؟

كان الجندي مُنهمكًا جدًّا في التدريب، حتَّى أنني أشك أنَّه سمع خطوات (عبد الرحمن)، ولكن جملة الأخير أوقفته عمَّا يفعله، وبطريقة أصفها بالتوقف الحرج، فجأة توقف عمَّا يفعله.. ببطء شديد نظر إلى (عبد الرحمن).. سأل:

- من يريده؟

شدَّ (عبد الرحمن) قامته، أجاب:

- الجنرال (بول)، نريـ..

من حقِّ مَن يقرأ يوميات رحلتنا هذه.. أن يقرأ تفاصيلها كاملة.. وفي هذه الجزئية أقول له حرف وكلمة.. لا استطيع.. لا استطيع الوصف الدقيق لما حدث هنا.. لأنَّ الأحداث أسرع من قدرتي على متابعتها كاملة..

فجأة صار (عبد الرحمن) ملتصقًا بالحائط المجاور لباب المصعد.. ماذا أتى به إلى هنا؟.. لقد كان هناك في الطرف البعيد من الممر.. عند الجندي.. على بعد عشرات الأمتار.. كيف بلغ هذا المكان.. لا أعلم.. الجندي في مكانه.. الجندي عند (عبد الرحمن) الذي انحدر جسده على الحائط وزاغت عيناه.. لا تفقد الوعي.. احذرك يا (عبد الرحمن).. لا تفقد

الوعي.. أقسم بالـ... اختفى (عبد الرحمن) وبقي الجندي وحيدًا.. أين ذهب (عبد الرحمن)؟..

فتحي رأى ولم يفهم شيئًا.. رأى الجندي عند الجانب الآخر من المصعد.. كيف جاء هنا؟.. متى بلغ هذا المكان؟.. رأى جسد (عبد الرحمن) وهو ينزلق بقوة ناحية الطرف البعيد.. ماذا حدث؟.. كيف حدث؟.. الجندي اختفى.. الجندي ظهر بالقرب من جسد (عبد الرحمن) الساكن..

بيد أصابها الصقيع عالج (فتحي) بندقيته.. رفعها.. أطلق النار.. وارتجّ المكان من صوت الرصاص.. رصاص جعل الجندي يلتفت إليه.. يسير نحوه.. ببطء.. بثقة.. واختفى..

الخوف جعل (فتحي) يواصل إطلاق الرصاص.. ظهر الجندي.. رأى رصاصاته تمزق ثياب الجندي.. و.. ترتد.. وجسد (فتحي) ينزلق بقوة نحو الطرف البعيد من الجهة الأخرى للمصعد..

الغمامة السوداء التي تحيط برأس (عبد الرحمن) أخذت تنقشع ببطء.. يا أخي، انهض.. انهض.. (فتحي) صار كُفْتة.. المغامرة الآن بدأت.. اعتدل ببطء.. تحامل على نفسه.. رأى الجندي يعبث بـ (فتحي) كطفل شقي

يمزّق دُمية.. ترنَّح.. سار نحوهما ببطء.. وهو يحاول إعداد سلاحه للإطلاق.. اسرع.. اسرع يا (عبد الرحمن).. (فتحي) صار ماضيًا..

وصل باب المصعد.. كان هناك من يطلب المصعد.. وضع قدمه ليُبقي المصعد في مكانه.. نظر حوله ووجد أصِيصًا للزهور في الركن بين المصعد والجدار.. جذبه ليضعه على باب المصعد ويمنع أغلاقه.. ~ وهل هذا وقته؟ ~

ورفع سلاحه وهو يحاول أن يصيب الجندي وتجنب (فتحي).. وأطلق زخة رصاص.. جعلت الجندي يُلقي (فتحي) أرضًا وينظر إليه.. اختفى.. هنا استفاد (عبد الرحمن) من خبرته الصغيرة السابقة.. لم يتوقف ليسأل نفسه أين ذهب.. بل واصل إطلاق الرصاص.. وظهر الجندي.. بثياب مزقها الرصاص.. أما جسده.. يا عيني.. أنظف من الخزف الصيني.. طبعًا ضربته الرصاصات.. غاصت في جسده مليمترات قليلة.. ثمّ عادت تندفع نحو (عبد الرحمن).. كأنَّه يطلق كرات على حائط وليس سيلًا من الرصاص..

شعر (عبد الرحمن) بالرصاصات المرتدة وهي تضرب صدره وبطنه بقوة وتدفعه للخلف.. ليسقط رأسه بين مصراعي باب المصعد.. اللذان

حطما الأصِيص.. وبدأت رحلة الإغلاق.. على رأس (عبد الرحمن).. وهذا هو الحسن في الأمر.. الجندي ضمَّ قبضته وهوى بها بكل عنفوانه على صدر (عبد الرحمن).. قبضة لا يختلف اثنان أنَّها ستخرق صدر الأخير.. وأيقن (عبد الرحمن) أنَّ هذه هي نهايته..

يا سلام.. هذا هو.. هذه هي الإثارة.. هذه هي المغامرة.. الآن يسقط القتيل الأوَّل من أبطال الرحلة.. الآن يعرف العالم حجم التضحيات في هذه الرِحْلة.. يا سلام.. يا سلام.. هذا هو.. هذا هو..

* * *

هنا حدث ما أفسد الأمر.. قبضة تلقفت قبضة الجندي كأنَّها تلقف تفاحة تسقط من شجرة وتوقف سيرها إلى صدر (عبد الرحمن).. و.. اختفى الجندي.. أعلم.. أعلم أنَّك تريد التفاصيل.. ولكن هذا ما رأيته.. الجندي اختفى.. و.. والدكتور (مختار) يضع قدميه على جانبي رأس (عبد الرحمن)، لتمنعا إغلاق الباب عليه.. وبصرامة قال:

- خذ (فتحي) معك، واذهبا إلى موقِف سيارات الجيب.

وتطاوح (عبد الرحمن) واقفًا وسار بخطوات مترنحة، تبدو له سريعة ~ ولي كالسلحفاة ~ نحو جسد (فتحي) المُلقى بعيدًا..

بلغه.. حاول إفاقته.. وبعد عناء.. سمع همهمات منه.. بعد حين نهض (فتحي) يتكئ على (عبد الرحمن).. ولكن ما رآياه.. أذهب كل وعي فيهما.. الرجل الخمسيني المُسمى الدكتور (مختار).. يصارع الجندي بكل قوته.. بكل شباب.. بكل رشاقه.. صراع لا أصفه إلَّا بكلمات مثل لكم.. اختفى.. ظهر.. ركل.. رغم وحشية الصراع.. كان التفوق لصالح الخمسيني ظاهرًا لكل ذي عيان.. صراع انتهى باختفاء الجندي من مكانه.. ثم اختفى الدكتور (مختار) بعده.. ليظهر في مكان آخر.. ويظهر الجندي.. ليجد قبضة الدكتور (مختار) في انتظاره.. وتتناثر الدماء.. بقي الجندي معلقًا في ذراع الخمسيني.. قبل أنْ ينفض الأخير يده من الجندي كمن ينفض ماء الوضوء عن يديه..

يا سلام.. هذا هو.. هذا هو.. هذا هو ما أبحث عنه.. ما أسعى إليه.. ركلات.. لكمات.. دماء.. هذه هي المغامرة.. لقد بدأت للتو.. هذه هي المغامرة.. يا سلام.. يا سلام.

سار نحوهما.. بمهابة.. برهبة.. تراجعا إلى الوراء، يريدان أكبر مسافة تفصله عنهما، قبل أن يقول جملته الغامضة:

- أخبرتهم أنني سأعود..

وأكمل:

- اذهبا إلى موقِف سيَّارات الجيب وانتظرا (عاصم).

دون أن ينبسا ببنت شفة، هزَّا رأسيهما بالموافقة..

* * *

- لقد تأخَّرا.

قالها (نور) وهو يلوح بسلاحه في وجهي الدكتور (حسام) والجنرال (بول) الذي قال بهدوء:

- هذا طبيعي، نحن نحتفظ به في مكان آخر، وسيحتاج الأمر الذهاب إلى هناك والعودة.

كاد هذا الجنرال أن يخدعني، وأنَّ عمل الجنرالات هو توزيع الحلوى على الأطفال في الأعياد، بل كدت أناديه "ماما"، خبيث.. حقًّا لم يعد في هذه الدنيا من تثق به..

عاصم:

- سأعطيك عشر دقائق، بعدها سأعلم أنَّك خدعتنا.

نظر الجنرال إلى ساعة يده، قال:

- لن تحتاج كل هذا الوقت.

مرَّت الدقائق بطيئة، ولكنَّها انقضت.. وبإشارة من (عاصم) إلى (نور)، ويصحبها قوله:

- قم بعملك.

هتف الجنرال وهو يرفع كفّه ليتقي بها شرًّا ما:

- انتظر، رُبَّما دقائق قليلة ويحضرون.

اقترب (نور) منه، وهبَّ الجنرال ناهضًا، ووجَّه لكمة إليه، اعترضها الأوَّل بكعب البندقية على ساعد الثاني، وركلة قويّة في صدر الجنرال أعادت الأخير إلى موضعه السابق، ووثب (نور) ليهبط خلف الجنرال و.. انتهى الأمر.. ~ يجب أن أعلم سرّ هذه الحركة، هذا الـ (نور) يجيد

الكثير من الأشياء الجيدة، ولكنني لا أشعر بالارتياح له، هناك شيء ما..

هناك شيء ما.. محمد ليس مخطئًا~

بفزع لوّح الدكتور (حسام) بكلتي يديه، وتضرَّع:

- أرجوك، أرجوكمـ...

اقتطع (عاصم) خرقًا من أقمشة تزيّن جدران القاعة، وبسرعة أوثق الجنرال والآخر، و..

- والآن! ماذا؟

سأل (نور) وهو ينظر للمقيدَين بفخر، كأنه هو من فتح القسطنطينية[3] أو استعاد المسجد الأقصى[4]..

---

[3] القسطنطينية (إسطنبول أو إستانبول): تُعرف تاريخيًّا باسم بيزنطة وهي أكبر مدينة في تركيا، وتعتبر مركز اقتصادي وثقافي وتاريخي للبلد، تمتد على مضيق البوسفور، تنقسم إلى شطرين الأوَّل في أوروبا والثاني في آسيا.
أُسست المدينة في القرن السابع قبل الميلاد باسم بيزنطة بواسطة المستوطنين اليونانيين من ميغارا.
كانت المدينة عاصمَة لعدد من الإمبراطوريات عبر تاريخها الطويل، الإمبراطورية الرومانية(330–395) ، ثم الإمبراطورية البيزنطية (395 - 1204) ، ثم الإمبراطورية اللاتينية (1204-1261)، ثم الإمبراطورية العثمانية (1453–1922).
فُتحت في 29 مايو سنة 1453 على يد(محمد الثاني) ، الذي عُرف لاحقا بـ (محمد الفاتح) ، وقُتل أخر أباطرة الروم (قسطنطين الحادي عشر) ثم أصبحت عاصمة للدولة العثمانية و سُميت (إسلامبول).
يعتبر كثير من المؤرخين فتح القسطنطينية هو نهاية العصور الوسطى وبداية العصور الحديثة. (المصدر: ويكيبيديا العربية ، بتصرف)

[4] المسجد الأقصى: أحد أكبر مساجد العالم وأحد المساجد الثلاثة التي يشد المسلمون الرحال إليها، وهو أوَّل القبلتين في الإسلام، وإليه أُسري برسول الله (محمد) صلى الله عليه وسلم، وهو ثاني بناء على الأرض بعد الكعبة، بُني بعدها بأربعين عامًا والراجح أنَّ من بناهما هو (آدم) عليه السلام.

أشار له (عاصم) بأن يتبعه، وهو يقول:

- ننقذ (عُمر)، ونرى ما أصاب الآخرين.

نور:

- من الغريب أن لا يشعر حرَّاس المكان بما نفعله!

اتجه (عاصم) إلى الباب الداخلي للقاعة، قال:

- ليس غريبًا، لقد حصَّنوا المكان من الخارج، لم يخطر ببالهم أن الخطر سيهبط من السماء.

***

هل تعرف بائع عصير القصب عند رأس الشارع، المجاور لبائع شطائر الفلافل، نعم، هذان اللذان لا يكفان عن التناطح رغم العلاقة التكافلية بينهما، بائع الفلافل الذي حين يعطيك الشطيرة، ينظر إلى السماء

يقع في الجهة الجنوبية الشرقية داخل البلدة القديمة بالقدس في فلسطين، وهو كامل المنطقة المحاطة بالسور، فكل ما داخل السور يُسَمى "المسجد الأقصى"، ومن أشهر معالمه (قبة الصخرة).
وكان يُعرف بـ "بيت المقدس" حتَّى سماه القرآن "المسجد الأقصى".
فتح (عُبيدة بن الجراح) مدينة القدس (كانت تُسمى بـ "إيلياء") عام (636م ≈ 15 هـ) في عهد الخليفة (عُمر بن الخطاب)، ثم احتلها الصليبيون عام 1099م وحررها (صلاح الدين الأيوبي) عام 1187م ، واحتلها اليهود 1967م وهي إلى الآن تنتظر من يحررها.
(المصدر: ويكيبيديا العربية وأخرى، بتصرف)

ويقول: "وحدوووووه"، لا تدري هل أنت عند بائع فلافل أم حانوتي؟! نعم، هذا الذي يُكثر الملح فتحتاج العصير، أين العصير؟ ها هو بجوار بائع الفلافل، تشرب العصير، تحتاج بعض الملوحة، من أين؟ ها هو بائع الفلافل بجوار بائع العصير وسيضع لك مخلل اللفت والفلفل في الشطيرة، المهم.. هل رأيت عيدان القصب المهروسة عند بائع العصير؟ نعم التي يتهم بائع الفلافل بائع العصير بإلقائها في حدود منطقته.. حال هذه العيدان بعد هرسها أفضل من حال (فتحي) و(عبد الرحمن) وهما يسيران في أروقة المبنى، ولا أجد تفسيرًا لعبورهم الممرات الطويلة دون أن يقابلهم واحدًا من الحرس أو العاملين في المبنى سوى حظ المبتدئين، أنت تقول إنَّها الساعة الثالثة بعد منتصف الليل والجميع نيام، أقول لك: لن يخلو الأمر من عامل ساهر أو جندي يراقب، ولكنهما خرجا من المبنى بمعونة اللوحات الإرشادية التى تملأ المكان دون أن يقابلا أحدًا.. كل ما حول المبنى مضاء.. بمصابيح في جدران المبنى الخارجية.. أو مصابيح على الأسوار الشائكة الخارجية المحيطة بالمبنى.. سارا يمينًا.. وجدا حديقة واسعة.. جميلة.. وجندي منهمك في تصفح هاتفه وآخر بعيد يسير الهوينى نحوهما.. ماذا حدث؟ أين اختفى

موْقِف سيارات الجيب؟ متى نبتت هذه الأشجار وتشكلت هذه الحديقة؟ لا حول ولا قوة إلا بالله.. لا حول ولا قوة إلا بالله.. أين موقِف سيارات الجيب العسكرية؟.. هنا فتح الله عليهما.. لقد خلق الله لكل شيء جانبين.. وحتمًا هذا المبنى له جانب آخر.. وفي الجانب الآخر يوجد موْقِف السيارات.. ذلك الجندي لو قتلهما لكان خير لهما.. ولكن لكماته مسحت عقليهما.. استدارا بسرعة واتجها للجانب الآخر.. وفي طريقهما وجدا جندي الحراسة على باب المبنى غافيًا.. كيف لم يرياه من قبل؟.. هذه الرحلة إذا استمرت ساعة واحدة إضافية.. فأعلم إنَّ لله مشيئة فيها لا يعلمها سواه.. هؤلاء غير مؤهلين لإجابة سؤال: ما اسمك؟ فما بالك بسؤال: أكروية هي أم مسطحة؟

بلغا الجانب الآخر، ليجدا سيارتي جيب، وفي إحداهما، في مقعد السائق يوجد جندي يبدو أنَّه ينتظر أحدًا ما.. سارا نحوه بحذر ~ أو أنَّهما يحسبان ذلك ~ و.. وضربت قدم (فتحي) حجرًا.. حجر اندفع ليضرب إطار عجلة الجيب في غِلٍّ وصوت واضح.. كأنَّ الضربة آلمته ويريد أن ينتقم ممن ضربه.. والتفت الجندي ينظر في اتِّجاهما.. كلَّا.. لا تفرح.. لن تكون هنا إثارة أو معارك شرسة.. تحت الأضواء ظهر وجه الجندي

واضحًا لا غبَش فيه.. وجه (محمد).. رفيق رحلتهم.. محمد!!.. ما الذي جاء به إلى هنا؟!.. كيف جاء؟!.. متى جاء؟!..

* * *

- محمد، محمد، محمد، استيقظ يا أخي.

محمد:

- ما، من، مَن أنت؟

- حُذيْفة، استيقظ.

- حُذيْفة؟ حُذيْفة مَن؟

ألم أقل لكم؟ لقد مُحِي شريط الرحلة من ذاكرته تمامًا..

- بسم الله الرحمن الرحيم...

وانهمر الماء على وجه (محمد)، فهبَّ من نومه يشهق.. يهتف:

- مَن؟ ماذا؟ لماذا؟

حُذيْفة:

- هيا بنا.

محمد وهو يشهق وينظر في الظلام من حوله:

- إلى أين؟

حُذَيْفة:

- ندرك أصدقائنا، ننقذ رفيقنا، لن يكتب التاريخ أنَّ (حُذَيْفة) كان جبانًا.

محمد:

- ماذا؟

حُذَيْفة:

- ما سمعته.

محمد:

- هل جُننت؟

حُذَيْفة:

- أكون مجنونًا إذا قبلت أن يكتب التاريخ عنَّا أنَّنا كنا جبناء، (حُذَيْفة) ليس جبانًا، هل (محمد) جبان؟

جميلة الطريقة التي يشير بها (حُذَيْفة) إلى نفسه كشخص آخر..

محمد:

- محمد ليس جبانًا ~ لقد أصابته العدوى ~، (محمد) عاقل، (محمد) العاقل الوحيد في هذه الرفقة المجنونة.

حُذَيْفة:

- لا يكتب التاريخ إلّا الأفعال المؤثرة فيه أو الأقوال التى تؤدي إلى أفعال مؤثرة فيه، هيا نلحق برفاقنا.

ربَّت (محمد) على خده ~ خد (حُذَيْفة) ~، وقال:

- التاريخ الآن نائم، ولا يعلم شيئًا عمّا نفعله، مع إشراقة الشمس، التاريخ يستيقظ وإن شاء الله نحن معه.

جذب (حُذَيْفة) الغطاء عنه، ومن قارورة الماء في يمينه، سكب على الفراش، قال:

- نومًا هنيئًا..

نظر (محمد) إلى خيال الفراش المبلول ثم إلى خيال (حُذَيْفة)، هل قتل النفس بحب.. بحنان.. يُعتبر جريمة؟ هل يُسمى "إزهاقًا للروح"؟..

*** * ***

9- الطريق إلى (عُمر)

جدَّ (محمد) السَّير خلف (حُذيْفة)، والغيظ يأكل قلبه، في هذا الظلام الدامس، في هذه الجبال الموحشة، يتعثر هنا، ثم هناك، و(حُذيْفة) ينساب أمامه ولا يسير ولا يتعثر، وبسخط صاح:

- كيف تعرف الطريق إليهم؟

أجابه (حُذيْفة) دون أن يلتفت إليه:

- أسير مع وصف (عاصم) للطريق.

زاد سُخْط (محمد)، بغيظ هتف:

- وماذا لو ضعنا؟

حُذيْفة:

- نعود من حيث أتينا.

برطم (محمد)، وجاهد في هزِّ شحومه أكثر، حتَّى يحاذي رفيقه، الذي يرى في الظلام، و.. عثرة جديدة جعلته يقول في سخط:

- كيف ترى في الظلام؟

(حُذيْفة):

- أنا أرى جيِّدًا في الظلام.

قال (محمد) بغلٍ:

- أنا لا أرى.

حُذيفة:

- سر في طريقي، ولن تتعثر.

مرة أخرى كانت الفكرة في غاية الإغراء.. الآن تراه.. الآن لا تراه.. أين (حُذيْفة)؟ حسبته ذهب معكم! كلَّا، لم يذهب معنا، لقد تركناه نائمًا بجوارك! بجواري؟ كيف؟ لقد استيقظت ووجدت نفسي وحيدًا! لا حول ولا قوة إلا بالله.. لقد اختفى (حُذيْفة).. دعونا نواصل رحلتنا وننسى أمره.. نعم، هذا ما سنفعله..

جاءه صوت (حُذيْفة) ينهره ويخرجه من أحلام اليقظة:

- دع عنك هذا الهُراء، وأسرع.

غريبة.. كيف علم بما يفكر فيه؟.. هناك شيء غريب في (حُذيْفة)! شخصيته؟! طريقة سيره؟!.. ثيابه؟! رُبَّما اسمه؟! بعض الأسماء تنكمش نهارًا وتتمدد ليلًا! بخلاف طبيعة الأشياء.. نعم، هذا هو السِّر.. لقد تمدد اسمه.. فشخصيته.. فثيابه.. فسيره..

حاول أن يجدّ في سيره أكثر، وكلَّما أسرع.. أسرع ذاك.. في سُخْط، هتف:

- لماذا لا تنتظرني؟!

حُذيْفة:

- يجب أن ندركهم قبل ضياع الفرصة.

محمد وأنيابه في فروة رأس (حُذيْفة) ويستمتع بصراخه وتوسلاته:

- أي فرصة تلك التي ستضيع؟

حُذيْفة:

- المشاركة في المغامرة، إنقاذ (عُمر)، مواصلة الرحلة.

أخذ يلهث وهو يصعد خلف رفيقه، وقد نسي كل شيء عن (حُذيْفة)، وصار همَّه عبّ الهواء، ثم تذكر أنَّه صامت منذ بضع ثوان، فصاح بعد استحضار الغِل:

- متى نصل؟

حُذيْفة وهو يميل مع استدارة سفح الجبل:

- وصلنا.

بضع خطوات.. بضع خطوات.. وظهر المبنى في وسط الجبال.. دقيق (عاصم) في الوصف.. المبنى كما وصفه تمامًا.. وها هما يشرفان عليه.. هذه هي الأسوار والأبراج تحيط بالمبنى.. والأضواء تفضح كل شيء.. هذا موقِف سيارات الجيب وفيه سيارتنا جيب.. و..

- هيا بنا.

حازمة.. صارمة.. خرجت من (حُذيْفة).. غريب هذا الـ (حُذيْفة).. لقد كان مثالًا للطيبة والبساطة.. كيف صار حازمًا صارمًا؟.. لولا مسألة الشِعر هذه لظن الجميع أنَّ هذا هو (أم حُذيْفة) تنكرت في هيئة ابنها (حُذيْفة) لتستكشف الدنيا.. الشِعر.. حُذيْفة لا يتوقف عن قول الشِعر.. وهذا لم يقل شِعرًا منذ.. منذ.. منذ صباح الأمس.. هل ما يقوله (حُذيْفة) شعرًا أم نثرًا؟.. أيّ كان.. فهو لم يقله..

- انتظر هنا.

بصرامة قالها (حُذيْفة)، وانتبه (محمد) ليجد أنَّهما يشرفان على بوابة سور المبنى الخارجية من صخرة عالية في جبل يقابلها..

- سأعود بعد قليل.

قال (محمد) بغِل.. بغيظ وقد شعر أنَّه كالأطرش في الزفَّة:

- أين ستذهب؟

حُذَيْفة:

- سأوقف أجهزة الرصد والمُراقبة، كي نستطيع الدخول.

قالها وانطلق.. غريب أمر (حُذَيْفة).. كأنَّه ينساب على الأرض ولا يسير.. يوقف أجهزة الرصد والمُراقبة! كيف؟ آآآآه.. حُذيفة ميكانيكي.. ولا شك أنَّ جزء من عمله وضع أجهزة الرصد والمُراقبة في السيارات.. وحتمًا يجيد التعامل معها.. رآه يواصل انسيابه بين الصخور حتَّى بلغ الجبل الذي يحجب المبنى من الجهة الأخرى.. الجهة التي تحتوي الحديقة حسب وصف (عاصم)..

شغل نفسه بإخفائها عن العيون ومراقبة المبنى، غريب أمر هذا المبنى.. أين حُرَّاسه؟.. أنَّه لا يرى سوى حارس واحد جالس جانب باب المبنى!.. أين الأخرون؟..

هنا ظهر جندي من داخل المبنى وتحدث مع الجالس.. الذي حاول الوقوف لولا أنَّ يد الجندي الأوَّل أعادته إلى مكانه، ثم تقدَّم لبوابة السور، فتحها.. نظر إلى (محمد) كأنَّه يراه في الظلام.. رفع ذراعه..

أشار بيده.. حُذيْفة؟ هل هذا الجندي هو (حُذيْفة)؟.. لا لا لا.. هذه أوهام وخيالات..

الجندي واصل الإشارة وهو يلوح بيده في اتجاه (محمد).. إشارة واضحة تطلب منه التقدم.. هل.. هل يذهب؟ وما أدراه أنَّ هذا (حُذيْفة)؟ رُبَّما جندي يشير إلى شيء ما أمامه..

هنا تقدم الجندي وشرع يتسلق الجبل، بلغ موضع (محمد).. قال:

- ما بك؟ ألم تر إشارتي؟

نظر (محمد) إلى (حُذيْفة)، أجاب:

- بلى، ولكن كيف لي أن أعرف أنَّه أنت؟

ألقى (حُذيْفة) بحزمة يحملها إليه، وقال:

- ارتد هذه.

تلقف (محمد) الحزمة، فإذا هي ثياب، سأل:

- ما هذه؟

- ثياب الجندي في حجرة الرصد والمراقبة.

محمد ويستبدل ثيابه مستترًا بالظلام:

- ماذا فعلت به؟

- ما فعلته بالجندي الجالس بجوار الباب.

هل أصرَّ عليه بالجلوس في مقعده؟ غريب أمر هذا الجندي!.. تُصرُّ عليه بالجلوس فيعطيك ثيابه!..

حُذيْفة:

- استيقظ، لا يزال عقلك نائمًا.

وسار و(محمد) يتبعه.. هبطا الجبل.. عبرا البوابة.. توجها إلى باب المبنى.. وعندما بلغاه، التفت إليه (حُذيْفة):

- هل تستطيع قيادة السيارة؟

في كبرياء، أجاب (محمد):

- أستطيع؟ أنا أستاذ.

- اذهب يا أستاذ إلى مِوقف السيارات، وانتظرنا في مقعد السائق.

- أين ستذهب أنت؟

- أحرص على أنَّ الجميع نيام.

*** * ***

بفرح قال (فتحي):

- محمد! ماذا جاء بك؟ أعني كيف جئت؟ أعني كم أنا سعيد برؤيتك وحضورك.

نظر (محمد) إلى الكُفْتة التي أمامه، كُفْتة أخذت هيئة (فتحي) و(عبد الرحمن)، سأل والدهشة على وجهه:

- ماذا أصابكما؟

جلس (فتحي) بصعوبة على المقعد بجواره، في حين تسلَّق (عبد الرحمن) بمشقة الجزء الخلفي لسيارة الجيب، ليجلس على المقعد الخلفي، وأجاب (فتحي):

- قابلنا خصمًا شرسًا.

محمد:

- و...

فتحي:

- وهزمناه.

هزمتوه؟! لولا رحمة الله وفضل الدكتور (مختار) عليكم، لم يعثر أحد على جثتيكما أو حتَّى البقايا، فريق مغامرات؟ أنتم فريق مغامرات؟! يا.. يا (كُفْتة).. حسبنا الله.. حسبنا الله ونعم الوكيل..

عبد الرحمن وهو ينظر حوله:

- إلى متى سننتظر؟

فتحي:

- إلى أن يأتي (عاصم) أو الجميع.

محمد:

- حُذيْفة.

بإنهاك دار رأساهما إليه، وبصوت واحد صاحا:

- حُذيْفة!

وتابع (فتحي):

- هل جاء معك؟

محمد:

- هو مَن جاء بي معه.

بفرح قال (عبد الرحمن):

- حقًا!

محمد:

- حقًا، هو من أيقظني وها هو.

لوهلة لم يفهما مقصده، ثم أدارا رأسيهما إلى حيث ينظر و.. تحت الأضواء القويّة القادمة من المبنى وأسواره الخارجية ظهر (حُذَيْفة).. ولا أستطيع أن أقول السبب في اعتقادنا أنَّ القادم هو (حُذَيْفة).. فليس فيه شيء من الـ (حُذيفية) سوى الهيئة العامة.. فهو أشبه بفتاة ترتدي السواد.. سروال أسود.. وتنورة قُصَّ طرفها السفلي بزاوية حادة بحيث ينتهي الطرف الأيمن أسفل الركبة ، وطرفها الأيسر عند منتصف الفخذ.. قميص أسود بياقة عالية تُخفي العنق كاملًا وأطرافه السُفلية تحت السروال.. وشاح رأس ينسدل بحرية على الأكتاف والصدر.. وتحته نقاب كالذي ترتديه المحجبات، ولكنه لا ينسدل على الوجه، بل شُدَّ على الوجه بحيث يُخْفي الوجه ويُظهر الهيئة العامة وتختفي أطرافه تحت ياقة القميص.. نعم، صحيح، تمامًا مثل اللصوص الذين يخفون وجوههم بوضع الجوارب النسائية..

تقدمت منهم ووثبت برشاقة الغزلان على مقعد في الجزء الخلفي من سيارة الجيب، وبصوت جميل، قالت:

- عبد الرحمن سينتظر هنا، ليخبر الآخرين عن وجهتنا، وسننطلق نحن الآن، الوقت ليس في صالحنا.

لم يجبها أحد، واكتفوا بالنظر إليها في صمت، صمت قطعه (فتحي) بالقول:

- مَن أنتِ؟

قال (حُذيْفة):

- مَن أنا؟ ماذا أصابكم؟

عجبًا.. ماذا أصابهم حقًا؟.. هذا هو (حُذيْفة) الذي يعرفونه.. يرتدي زيًّا عسكريًّا.. ماذا أصابهم حتَّى يتخيلونه فتاة؟..

نفضوا رؤوسهم بقوة، تبعها قول (عبد الرحمن) وهو ينزل من عربة الجيب:

- لا شيء، نحتاج إلى نوم أو قهوة.

سأل (حُذيْفة):

- مَن منكم يجيد الإنجليزية الأمريكية؟

محمد:

- أنا أجيدها، لقد درست في الولايات المتحدة الأمريكية لست سنوات.

أشار له (حُذيْفة) بسبابته:

- أنت من سيتحدث إلى جندي البوابة.

وأدار سبابته إلى (فتحي)، وأردف:

- أنت، استبدل مكانك بمكاني.

تحامل (فتحي) على نفسه، ونزل ليجلس مكان (حُذيْفة)، والأخير يأخذ مكانه، وأمر (محمد):

- انطلق.

محمد وهو يدير محرك عربة الجيب:

- إلى أين؟

أتاه الجواب من المكان أمامه، حيث انخفضت الأرض تدريجيًّا لتكشف نفقًا واضحًا، لم ينتظر (محمد) جوابًا لسؤاله، وانطلق فورًا.. بثقة.. كأنَّ هذا النفق هو الزقاق المجاور لبيته، وقضى طفولته يلعب فيه، الحمد لله لم يقل أحدهم أنَّ هذا نفق خاله أو عمَّه.. هذه الدنيا لم يعد فيها أمان.. تسير في الشارع.. تجد مَن يضع يده على كتفك ويبكي ويقول.. ابني..

ابني.. وجدتك بعد هذه السنين الطويلة.. مَن ابنك يا عمّ؟.. أنا أكبر منك.. كيف صرت ابنك؟.. حسبنا الله ونعم الوكيل..

*** * ***

اندفعت الجيب في النفق، قبل أن تبدو لهم بوابة حديدية تُغلق الطريق ، أبطأ (محمد)..

حُذَيْفة :

- لا تتحدث كثيرًا، أخبره أننا جئنا لأخذ الشاب الذي أحضرناه صباحًا.

خرج جندي من كشك صغير خلف البوابة، ونفذ إإليهم من باب صغير في البوابة، وتقدَّم جهة (حُذَيْفة)، ورفع يده بالتحية العسكرية ويومئ برأسه إلى (حُذَيْفة) قائلًا :

=- سيِّدي الجنرال.

سيِّدي الجنرال؟.. متى أصبح (حُذَيْفة) جنرالًا؟.. خبيث.. أخفى حقيقته عنَّا جميعًا.. داهية هذا الشاب..

كان ردُّ (حُذيْفة) :

- افتح البوابة، نحن في عجلة من أمرنا.

رائع.. (حُذيْفة) يجيد الإنجليزية الأمريكية.. مع أمر صغير.. لم أحب ذكره لولا معرفتي بفضولك.. الصوت.. لم يكن صوت (حُذيْفة).. صوت من؟.. صوت شخص آخر.. صوت الجنرال (بول)..

دار رأسا (فتحي) و (محمد) بقوة إليه.. و.. هذا هو.. الجنرال (بول) بدمه ولحمه جالس مكان (حُذيْفة).. فعلهما.. دهشتهما.. ذهولهما.. يثيرون الشَّك لولا أنَّ الجندي اندفع يفتح البوابة بسرعة..

حُذيْفة :

- هيا انطلق.

لم يتحرك (محمد) حتَّى كرر (حُذيْفة) قوله بصرامة أكبر، وعبرت الجيب البوابة وتلوت بين كتل أسمنتية، ثم أخذت طريقها..

نفض (محمد) رأسه، هتف:

- ماذا حدث؟ كيف عبرنا؟

فتحي منفعلًا:

- ما أذكره جندي البوابة وهو يتقدم نحونا.

حُذَيْفة:

- لقد ظنَّ أننا رفاقه، ففتح البوابة.

محمد:

- كأن شيئًا ما طمس ذاكرتي.

فتحي والانفعال لا يتركه:

- وأنا كذلك، لقد خُيِّل إليّ أنَّ الجنرال (بول) جالس في مكان (حُذَيْفة)، ويأمر الجندي بفتح البوابة.

محمد:

- الجنرال (بول)؟ هل قابلتموه؟

فتحي:

- نعم.

محمد:

- أمَّا أنا فخُيِّل إليَّ أنَّ ضابطًا من رفاق الجندي يأمره بذلك.

حُذيْفة :

- أنتما حقًا تحتاجان النوم أو القهوة.

وافقه (محمد) بحماس :

- حتمًا، حتمًا.

* * *

10- غموض

أشار (نور) إلى عدة أشخاص غارقين في نوم عميق، في ما هو أشبه ببهو استقبال لأحد أقسام المبنى، سأل:

- هل يبدو هذا الأمر طبيعيًا؟

قبل أنْ يجيبه (عاصم)، جاءه الجواب من خلفه:

- لا، ليس طبيعيًا البتَّة.

التفتا معًا ليجدا الدكتور (مختار) واقفًا خلفهما وتحت إبطه حقيبة صغيرة، ويتابع:

- هناك أمر غامض يحدث في هذا المبنى، علينا العثور على (عُمر) والمغادرة فورًا.

أشار (عاصم) إلى الحقيبة، سأل:

- ما هذه؟

أخرجها الدكتور (مختار) من تحت إبطه، ولوّح بها قائلًا:

- كل ما يثبت تورط هذا المكان والعاملين فيه في أنشطة لا إنسانية، وجرائم خطف وقتل، وإجراء تجارب بدون استشارة او علم الضحايا.

نظر إليه (نور)، ثم قال:

- هل سُيجدي هذا نفعًا؟

نفى الدكتور (مختار) برأسه، وقال:

- لا.

وابتسم وهو يتابع بغموض:

- ولكنَّه سيُطفئ النار التي سنُشعلها.

ونظر حوله، أردف:

- علينا العثور على الجنرال (بول)، وإجباره على أخبارنا بمكان (عُمر).

مدهوشين نظرا إليه، وهتف (نور):

- الجنرال (بول)!

حكَّ (عاصم) رأسه، قال:

- أخشى أنَّه لا يستطيع إجابة أيّ سؤال الآن.

طبعًا الأذكياء نسوا أن يتحققوا منه عن مكان (عُمر) قبل أن يفقده الأستاذ (نور) الوعي، ولا تقل لي أنَّه "خطأ المبتدئين"، بدأت أشك أنَّهم يعرفون أي شيء في الدنيا، إنَّ أمرهم خير ما يصفه قول الملحد - الذي أسلم- حين سأله البعض كيف أسلمت؟ فأجاب: رأيت أمورًا في هذه الدنيا، لو لم يكن هناك إلهًا يسيّرها، لهلكت الدنيا.

وهذا هو حال هؤلاء هنا.. وحسبنا الله ونعم الوكيل..

نظر إليه الدكتور (مختار)، سأل:

- لماذا؟ أين هو؟

بكلمات مختصرة أخبره (نور) بما حدث معهم، تبعها قول الدكتور (مختار):

- هيا بنا إليه.

دقائق حتَّى كانوا أمام الجنرال الفاقد الوعي خلف الأريكه، حمله الدكتور (مختار) ووضعه على الأريكة، ورفع الكمامة الساذجة، وبدأ في إفاقته.. و.. لا أدري ماذا يحدث هنا.. فتح الجنرال عينيه.. نظر إلى وجه (مُختار).. لوهلة بدا كأنَّه يحلم.. صدمة.. ثم بغبطة.. بفرح.. بسرور.. كأب يلتقي ابنه البار بعد الغياب سنينًا طويلة.. هتف:

- مُختار، مُختار، لقد عدت.. عُدت يا (مختار).

المفاجأة هنا من نصيب الأثنين (عاصم) و(نور)، معرفة الجنرال بـ الدكتور (مختار) أمرًا لم يرد على ذهنيهما، مفاجأة زادها الدكتور (مختار) بالقول:

- نعم، لقد عدت.

حاول الجنرال أن ينهض رغم قيوده، ولكن دفعة من (نور) ونظرة صارمة أعادتاه إلى مكانه، وتعالى في المكان صوت همهمة قويّة وركلات في الأريكة، دفعا (عاصم) لإخراج الدكتور (حسام) من وراء الأريكة إلى فوقها، لينتاب الأخير سعار يمتزج بكلمات الوله التي يصبها الجنرال على الدكتور (مختار)، رفع (عاصم) الكمامة عن فمه وأخرج قطعة القماش، لينطلق صياح الدكتور (حسام) والدموع تطفر من عينيه:

- مختار.. لقد عدت يا (مُختار).. عدت.. أيُّها العظيم.. شكرًا لله.. شكرًا لله.. لقد عدت.. لتر واحد يا (مُختار).. لتر واحد.. بل نصف لتر.. هذا كل ما نريده منك.. نصف لتر..

زجره الجنرال وهو يترك الأريكة لينتصب على ركبتيه، ويتوسل:

- بل لتر واحد يا (مُختار).. لتر واحد.. لأجلي.. لأجلنا.. لأجل البشريَّة.. لأجل المرضى.. لأجل..

قاطعتهما صيحة الدكتور (مختار) الهادرة، وهو يقول:

- كفى، كفى، لم آت إلى هنا لأعطيكم شيئًا..

وواصل حديثه وقد جعل الغضب وجهه شيطانيًا:

- لقد عدت لأجل شيء واحد...

صمت قصير تبعه كلمته المخيفة:

- لأنتقم...

لم يهتم للإنفعالات المتباينة التي قفزت على الوجوه، أكمل:

- لنفسي، لضحاياكم، لأجل إنسان بريء يسير الآن ولا يعلم أنكم ستسلبونه حريته وحياته بعد قليل..

...

- عدت لأدمر مشروعكم.. لأدمركم..

هتف الجنرال بجزع:

- تدمرنا؟! إنَّ كل ما نفعله لأجل البشريَّة جمعاء، لأجلي، لأجلك، لأجل أبنائنا وعائلاتنا...

قاطعه الدكتور (مختار) بغضب هادر:

- بل لأجل التفوق الأمريكي على العالم، وتستخدم هذه الشعارات لخداع السُذَّج والبلهاء أمثال..

والتفت إلى الدكتور (حسام) مكملًا:

- هذا الأحمق.

بلوعة هتف الدكتور (حسام):

- بل لأجل البشريَّة يا (مُختار)، لقد نجحنا في علاج السرطان[5] والإيدز[6]، وعلاج حمى الإيبولا النزفية وحمى اللاسا[7]، استطعنا هذا كُلّه يا (مُختار)، ولكن طريقة العلاج قاسية ومكلّفة، وبمعونتك نستطيع إيجاد

---

[5] مرض السرطان هو خلية أو خلايا طبيعية تعرضت لعامل أو أكثر غيَّر سلوكها عن السلوك الطبيعي للخلية، وأخذت في التكاثر بشكل غير طبيعي، حيث تصنع هذه الخلايا كتلًا، يمكن أن تتوزع وتنتشر في الجسم.
وينقسم إلى سرطان حميد يمكن علاجه والتخلص منه، وسرطان خبيث يحتاج إلى علاج مكثف قد يؤدي في النهاية للقضاء على المرض أو تأخير النهاية.
ومن أعراضه ظهور تورم أوالنزيف غير طبيعي أو سعال طويل أو فقدان وزن غير مبرر أو تغير في حركات الأمعاء.
ومن أسباب الإصابة بالسرطان التعرض للإشعاع (المواد المشعة و الأشعة فوق البنفسجية) والتدخين والسمنة وسوء التغذية والكحول.
ومن وسائل علاجه الجراحة والعلاج الإشعاعي والعلاج الكيميائي. (المصدر: ويكيبديا العربية ، بتصرف)

[6] الإيدز(AIDS) مرض يصيب الجهاز المناعي البشري بسبب فيروس نقص المناعة البشرية (HIV) وتؤدي الإصابة به إلى التقليل من فاعلية الجهاز المناعي للإنسان تدريجًّيا ليترك المصابين به عرضة للإصابة بأنواع من العدوى الانتهازية والأورام، بحيث يقتل المصاب مرض بسيط. وينتقل الفيروسعن طريق انتقال السوائل من شخص مصاب لآخر سليم و الحقن الملوثة بهذا الفيروس، ولا يوجد علاج لهذا المرض، والأدوية المتوفرة تؤدي لتأخير وفاة المريض فقط، ورغم الحديث عن أساليب وعلاجات ناجعة لهذا المرض، إلّا أنها لم تخضع لأبحاث جادة من جهات معتمدة، تحسم أمرها من حيث كونها حالات شاذة أو أساليب فعالة في علاج المرض. (المصدر: ويكيبديا العربية ، بتصرف)

[7] حمى الإيبولا النزفية وحمى اللاسا: حُمَّيات نزفية تسببها مجموعة فيروسات الحُمَّى النزفية Viral hemorrhagic fever (VHF)، وأشهر أنواعها: حُمَّى الإيبولا النازفة Ebola hemorrhagic fever وحُمَّى اللاسا Lassa fever وحُمَّى ماربورج النزفية Marburg hemorrhagic وحُمَّى الوادي المتصدع RVF وأعراضها التعب والغثيان وألام الأطراف والعضلات وقصور الجهاز العصبي والصدمة والهذيان وتدمير الجهاز الوعائي مما يترتب عليه نزيف تحت الجلد أو من الفتحات الطبيعية للجسم، وفيروسات هذه الحُمَّيات تنتقل للإنسان حين تتداخل دائرة حياة العائل الوسيط مع حياة الإنسان من خلال إفرازات وفضلات ودماء هذه العوائل أو تناول بعضها في التغذية، وتنتقل هذه الفيروسات بين البشر عن طريق التعامل المباشر أو تبادل السوائل أو عدوى المستشفيات. (المصدر: دراسة في الحرب البيولوجية، السيد مجاهد، الطبعة الأولى 2020)

طريقة سهلة لعلاج جميع الأمراض، ما نحتاجه هو لتر واحد من دمك، لتر واحد فقط نستطيع من خلاله معرفة الطريقة التي يحمي بها جسدك نفسه، ونستطيع صنع المصل المناسب لجميع الأمراض.

برجاء أخذ الجنرال الحديث:

- لنعقد صفقة يا (مُختار)، صفقة يربح منها الجميع.

نظر إليه الدكتور (مختار) والسؤال في عينيه، فتابع الجنرال:

- تُعطينا لتر واحد من دمك، وسنوقف هذا المشروع، سيصبح عملنا عمل مصل من دمائك.

الشراسة في عيني الدكتور (مختار) كانت ردًا على حديثه، صاحبها صوت الدكتور (مختار) قادمًا من أصقاع باردة بعيدة:

- كلَّا، لن تحصل على دمي، وستوقف هذا المشروع.

حاول الدكتور (حسام) أن يتكلم، ومنعه صوت الدكتور (مختار) وهو يكمل:

- في هذه اللحظة يتم إفراغ خزانات الوقود الخاصة بالمولدات الكهربائية التي تغذي المبنى، في الطوابق السفلية للمبنى، لن يبق من مبناكم سوى الرماد.

صاح الجنرال:

- هذا جنون، مُختار، أنت تدمر مشروعًا ناجحًا، لقد قطعنا شوطًا طويلًا...

وأكمل عنه الدكتور (حسام) وهو يصيح برجاء:

- ونحن نبحث عن طريقة أفضل لتنفيذ العلاج، طريقة تحترم الإنسان وحياته..

قاطعه الدكتور (مختار):

- لقد سبق السَّيف العَذْل، لا تراجع.

صاح الجنرال وقد أصابه السعار:

- أنت مجرم يا (مُختار)، أنت لا تختلف عنَّا، أنت تقتل عشرات الأبرياء في هذا المبنى، تقتلهم بأبشع وسيلة، وتحرم البشريَّة من علاج أمراضها، تتشدَّق بالقيم وأنت تحاربها، أنت تحرق ألآف الملايين من الأموال التي ستنقذ البشريَّة، أنت..

قاطعه الدكتور (مختار):

- قبل القدوم إليك، ذهبت إلى لقاء (رالف)، أو كما تحب أن تسميه.. (وولفرين).

الدكتور (حسام) والذعر في كلماته:

- مُختار، أنت.. أنت.. أنت لم تفعل ما أظنه.. مُختار.. (وولفرين) هو أفضل نموذج لنجاحنا.. مُـ...

قاطعه الدكتور (مختار):

- لقد أرسلته إلى مكان لم يعد منه أحد..

لحظة صمت ذاهل، تبعه صراخ الأثنين في جنون:

- أيُّها الوغد.. أيُّها الحقير..

ورغم قيودهما حاولا الهجوم على الدكتور (مختار)، لكن ركلة قوية من (عاصم) ألقت بالجنرال إلى وراء الأريكة، وضربة بكعب البندقية من (نور) أعادت الدكتور (حسام) إلى عالم الغيبوبة.

وثب الدكتور (مختار) وراء الأريكة وحمل الجنرال بيسراه من تلابيبه، وبصرامة سأل:

- أين (عُمر)؟

قاوم الجنرال رغم قيوده، وبصوت مختنق:

- عُمر؟!.. عُمر من؟..

الدكتور (مختار):

- الشاب الذي أمسكتم به صباح الأمس.

الجنرال:

- لا أعلم، ولن تعلم.

قبض الدكتور (مختار) بيمناه على ذراع الجنرال، قال:

- حقًا؟.. لن أعلم!

ارتفعت شهقة ألم من الجنرال، والدكتور (مختار) يواصل:

- أنت تعرف رجلك المُسمى (وولفرين)، الآن ستعلم أنَّه لا يساوي شيئًا أمامي..

ارتفع صراخ الجنرال، وواص الدكتور (مختار):

- بعد لحظات قصيرة ستتحطم ذراعك، وبعدها سأواصل العصر حتَّى أفصلها عن جسدك.

بين صرخات الجنرال، خرجت كلماته:

- س.. سأخبرك.. سأخبرك.. توقف أرجوك.. توقف..

توقف الدكتور (مختار) والجنرال يتأوه ويتألم، بصوت مختنق قال:

- في الميناء، رجلكم في الميناء.

نور:

- أيُّ ميناء تقصد؟

الدكتور (مختار):

- أنا أعرف أي ميناء يقصد.

وبضربة غريبة من مرفقه على وجه الجنرال، سقط الأخير فاقد الوعي على الأريكة، وأشار للآخرَين:

- هيا بنا.

11- النموذج الأفضل

- إذًا جاءا (محمد) و(حُذيْفة).

قالها (عاصم) بغبطة وهو جالس في مقعد السائق، في عربة الجيب الثانية، وعقَّب الدكتور (مختار) ضاحكًا:

- لم يخب ظنَّي في اختياري.

اختياره؟ عقولهم كبحر هائج في يوم عاصف تسأل السؤال تلو الآخر، مَن أنت؟ ما حقيقتك؟ ما علاقتك بهذا المكان؟ كيف يعرفك الجميع هذه المعرفة الوثيقة؟ وفي عقل (عبد الرحمن) دارت أسئلة أخرى.. رجل بهذه القوة!.. ما حاجته لآخرين معه في هذه الرِحْلة؟ مما يخاف؟ لم يحتاجهم؟ من أين اكتسب هذه القوة؟ أم وُلدت معه؟.. هل يحتاج عونهم حقًا؟ أم هم من يحتاجون عونه؟

في ظنَّي واعتقادي أنَّهم أشبه بحفنة النَّقل (المكسَّرات) التى تُنثر على وجه المرطبات والمأكولات لإعطائها شكلًا ونكهة إضافية لا أكثر.. أو أشبه بالممثل الثانوي الذي يضيف لفيلم الحركة بعض الطرافة.. انا شعرت بذلك.. جماعة (بابي ومامي ونينة وتيتة) لا يصلحون إلّا لـ

"ياي، ابعد البتاعة دي لتعورنا".. حسبنا الله ونعم الوكيل.. حسبنا الله ونعم الوكيل..

انطلق (عاصم) بسيارة الجيب في النفق المفتوح، و(نور) يسأل:

- هل حقًا ستشعل المكان؟

نظر الدكتور (مختار) إلى ساعة يده، قال:

- نصف ساعة وسيبدأ الحريق، وبعدها بساعة سيكون المكان رمادًا.

عاصم:

- هل يستحق هذا حقًا؟

هز الدكتور (مختار) رأسه والوجوم على وجهه:

- هذا أقل ما يستحقه، الدكتور (حسام) لا يعلم من الحقيقة سوى النذر اليسير الظاهر، يظن نفسه شريكًا، والحقيقة أنَّه دُمْية في يد الجنرال، هذا المكان هو مبنى جزارة حقيقية، جزارة آدمية لا يعلم بأمرها أحد، هذا المكان هو سجن خاص بأعداء الولايات المتحدة الأمريكية، مركز للتجارب الوحشية وأشياء أخرى كثيرة.

بعد برهة صمت، سأل (عبد الرحمن):

- والحكومة المصريّة، هل تعلم بذلك؟

نفى الدكتور (مختار) برأسه، أجاب:

- لا أظن، رُبَّما يعلمون بقدر ما يعلمه الدكتور (حسام)، مركز أبحاث علمية لعلاج الأمراض المستعصية.

نور:

- ألم يثر اختيار المكان وطبيعته النائية شك الحكومة؟

الدكتور (مختار):

- هناك ألف تعليل لذلك، الخوف من تفشي وانتشار الأمراض والفيروسات أو خروجها عن السيطرة، وجود مؤسسة للجيش الأمريكي قد يثير الفضول والتساؤلات حول طبيعتها وهذا المكان يمنعها، رُبَّما...

قاطعه (عاصم):

- كيف تعلم أنت بهذا المكان؟

خيَّم الصمت برهة، ثم تحدَّث الدكتور (مختار) ببطء شديد:

- لأنني كنت هناك.. باحثًا.. وأسيرًا.. وفأرًا للتجارب.

هتف (نور):

- حقًا؟ كيف حدث هذا؟

أشار الدكتور (مختار) بيده، وقال:

- فيما بعد، فيما بعد.

احترم الجميع رغبته وسيارة الجيب تمر في النفق المُعد جيِّدًا لمرور السيارات، ومصابيح النفق تُضيء كل بقعة منه، وانقضت عشر دقائق حتَّى ظهرت بوابة حديدية، وأبطأ (عاصم) الجيب حتَّى توقف تمامًا عندها، نظروا فيما حولهم، لم يكن هناك أثر لأي شخص.. لا جنود.. لا أحد يحرس البوابة.

الدكتور (مختار) وهو ينزل بحذر من الجيب:

- لا يترجل أحدكم.

بحذر سار حتَّى لامس البوابة، نظر إلى الكشك الصغير الخالي بجوارها.. إلى الكتل الأسمنتية الضخمة التي وُضعت بطريقة غريبة.. و.. شيء ما بينها.. مد يده إلى البوابة وأزاح المزلاج الحديدي الضخم.. ودفع البوابة ونظر مرة أخرى حوله وسار نحو الكتل الأسمنتية الضخمة.. نحو الشيء المُلقى هناك.. الشيء كان ثلاثة أجساد لجنود.. أو رُبَّما جثثهم.. انحنى ووضع سبابته على عنق أولهم.. فالثاني.. فالثالث.. حسنًا.. أجسادًا وليست جثثًا.. نظر فيما حوله.. عاد إلى البوابة الحديدية.. وفتحها على مصراعيها.. وعاد إلى مقعده في الجيب، قال بقلق:

- هناك شيء غامض يحدث هنا، جنود البوابة فاقدي الوعي، العاملون والباحثون في المبنى فاقدوا الوعي، جندي حجرة المراقبة فاقد الوعي وملابسه.

عبد الرحمن:

- رُبَّما هذا فعل (فتحي) ومَن معه.

الدكتور (مختار):

- رُبَّما ما تقوله صحيح بخصوص جنود البوابة، ماذا عن من بداخل المبنى؟

عاصم:

- هل تظن أنَّ جهة ما هاجمت المكان؟

الدكتور (مختار):

- وأين هم؟ كيف لم نقابل أحدهم؟

قاد (عاصم) الجيب بين الكتل الأسمنتية، وشارك الجميع صمتهم، وانقضت خمس دقائق حين ظهرت مجموعة من سيارات الجيب العسكرية متوقفة في مكان مخصص لها بالقرب من نهاية النفق، ومجموعة أكشاك كبيرة مُضاءة اصطفت على جانبي الامتداد الإفتراضي

للنفق، وجبال سوداء من وراءها والسماء المظلمة بنجومها اللامعة تبدو من أعلى، ولا أثر لكائن حي في المكان.

أوقف (عاصم) الجيب جوار العربات الأخرى، وترجل الجميع وهم ينظرون حولهم.. وسمعوا صفيرًا جعلهم يلتفتون إليه، مِن نافذة أقرب كشك لهم، ظهر جندي ضخم يشير لهم بالإقتراب.. اقتربوا منه وهو يبتسم في وجوههم، نظر إلى (عاصم)، استوضح بالإنجليزية الأمريكية:

- الدكتور (مختار)؟

بتردد أشار (عاصم) إلى الدكتور (مختار)، الذي قال بالإنجليزية:

- أنا الدكتور (مُختار).

اتسعت ابتسامة الجندي الضخم وهو يقول:

- الجنرال (بول) يُـ..

قاطعه الدكتور (مختار):

- الجنرال (بول)؟!

لم يعد هناك مكان لمزيد من الابتسام في وجه الجندي، وهو يقول:

- نعم، الجنرال (بول)، يقول لك إنَّ (وولفرين) هو أفضل نموذج ناجح للدكتور (حسام) وليس له..

ووضع يده على إطار النافذة وهو يُكمل:

- بخصوص الجنرال (بول)، أنا النموذج الناجح.

ووثب من النافذة إلى خارجها.. واختصر هنا المشهد كاملًا في كلمة واحدة.. كُفْتة.. هذا هو حالهم.. وإليك التفاصيل..

الدكتور (مختار).. قنبلة في معدته.. صاعقة في وجهه.. ثم طار في الهواء.. بين النجوم.. في عالم مليء بالعصافير البيضاء..

(عاصم).. يا سلام.. لقد رأى الإنفجار الكوني الذي يتحدث عنه علماء الفلك.. ومنه نشأ الكون.. ضوء أبيض ساطع عظيم.. وهو يسبح فيه بنعومة.. وسعادة..

نور.. العالم يصغر ويصغر.. وهو يرتفع ويرتفع.. يا سلام.. هذه أهرامات الجيزة.. هذا البعيد بيته في ضاحية بيروت في لبنان.. هذه الكعبة.. آن الآوان للقيام بعمرة..

عبد الرحمن.. ما هي العدمية؟ هل هي الأنتقال من الشيء إلى اللا شيء؟.. أم هي الانتقال من النور للظلام؟.. حقًا؟.. ما هي العدميّة؟.. لقد كان هناك شيء.. ولم يعد هناك شيء..

جلس الجميع على مقاعدهم والأغلال في أيديهم.. وأرجلهم.. (نور).. الدكتور (مختار).. (عُمر).. (حُذيْفة).. (عاصم).. الزعيم صفر الذي لا يعرف حقيقته أحد.. يا أخي ابن خالتك.. ابن عمتك.. جميعهم الآن سواء.. جميعهم كُفْتة.. (محمد).. (فتحي)..

خيبة الناس السبت والأحد.. وخيبتي لم ترد على أحد.. يا رب السموات والأرض.. يا رب العالمين.. تمنيت أبطالًا.. فرُزقت بهذه الأشلاء.. حسبنا الله ونعم الوكيل.. حسبنا الله ونعم الوكيل..

ابتسم الجندي الضخم في وجوههم وهو يجلس قبالتهم في الكشك الذي قفز منه، إلى مكتب صغير وانهمك في كتابة شيء ما ~ الله أعلم بما يكتبه، وهل هذا وقته، كلما رأيت من يكتب تسألني، غريب أمرك~، رفع رأسه، قال بلطف:

- الجنرال (بول) في الطريق إلى هنا، سيتأخر بضع دقائق لإصلاح ما أفسده الدكتور (مختار).

يتحدث بلطف.. بحنان.. كأم حنون.. يا (ماما).. يبدو أنني أعاني من متلازمة الحرمان من حنان الأم.. كلما رأيت حنونًا.. ناديته (ماما)..

لم يعلّق أحدهم ولاذ الجميع بالصمت، حتّى قطعه (حُذيْفة):

- من الغريب أنَّك لم ترفع عنّي قناعي.

نظر إليه الجميع.. أيّ قناع هذا الذي يتحدث عنه هذا؟.. هذا هو (حُذيْفة).. ببِنْيته الهزيلة ووجهة الأسمر وشعره الجَعْد.. ويبدو أنَّ الجندي يرى الأمر من طريقة مختلفة.. هزَّ رأسه وهو يعود إلى ما يكتبه، قال:

- لا يعنيني أمرك.

حُذيْفة:

- ألا ينتابك الفضول لمعرفة ملامح وجهي.

الجندي بلا إكتراث:

- لا.

حُذيْفة بإصرار:

- هل تعلم أنَّ بؤبؤ عيني كالسِّنَّوريَّات[8]؟

رفع الجندي نظره إليه مدهوشًا، سأل:

- حقًا!

حُذيْفة:

[8] السِّنَّوريَّات: فصيلّة من الحيوانات الَّثْدِيَّية تشمل الأسود والنُّمور والفُهود والقطط الأليفة والبرية، وأنواع عديدة أخرى، وعادة يكون بؤبؤ عينها على شكل شق طولي رفيع في الإضاءة القوية وكبيرًا كامل الاستدارة في الظلام.

- حقًا.

تابع الآخرون الحوار بجهل تام، وشاهدوا الجندي ينهض من مقعده ويتجه نحو (حُذيْفة) ويجذب وجهه ~ نعم، وجهه، لا يوجد خطأ هنا ~، كأنَّه ينزع قناعًا، وينظر مدهوشًا في عينيه، ويهتف:

- ما هذا بحق الشيطان؟

و.. وسقط على وجهه فاقد الوعي في حضن (حُذيْفة)، واستقبل الأخير جسد الجندي بكلتي قدميه، ودفعه أمامه بعيدًا عنه.. ونهض (حُذيْفة) ونزع الأغلال من يديه كمن ينزع سوارًا، وكرر ذلك مع أغلال قدميه، ونظر (حُذيْفة) للآخرين، قال:

- سيفيق بعد عشر دقائق، هل يملك أحدكم وسيلة لإيقافه؟

طبعًا الجميع ينظر إليه، ويحاول فهم ما حدث ويحدث، رُبَّما الدكتور (مختار) هو أسرعهم في تمالك نفسه، وأجاب:

- فُكَّ أغلالي، أنا أستطيع إيقافه.

تناول (حُذيْفة) مفاتيح الأغلال التي كان الجندي يضعها أمامه على المكتب، وهُرع إلى الدكتور (مختار) يفك وثاقه، وتحرر الأخير من

أغلاله واندفع إلى الجندي الفاقد الوعي وأدار رأسه.. ليفعل أمرًا غريبًا.. بصق.. في أذنه.. ثم التفت للآخرين قائلًا:

- لقد انتهى أمره.

نظراتهم المدهوشة.. المستغربة.. جاوبته، وقال (عاصم):

- حقًا؟!

الدكتور (مختار) وهو يشير إلى الجندي:

- نعم، حقًا.

تحت أضواء الكشك شاهد الجميع زُرقة تسري في وجه الجندي وتنتقل إلى عنقه، وتجعل (فتحي) يهتف:

- ماذا فعلت به؟

قال الدكتور (مختار):

- نوع من التسمم، إذا وجد العلاج سيتعافى خلال أربع وعشرين ساعة.

عُمر وهو ينظر للزرقة تمتد إلى كفي الجندي:

- وإن لم يوجد؟!

نظر له الدكتور (مختار)، أجاب:

- سيموت خلال ثمان وأربعين ساعة.

ونظر حوله، تابع:

- الآن، هيا بنا، سنخرج من هذا المكان.

نظر له له الجميع.. في رهبة.. في ريبة.. في شك.. بمشاعر متضاربة.. ثم سار الآخرون خلفه وهو يسير من وراء الكشك إلى الجهة المقابلة للنفق.. قابلهم جنديان.. ركلة من (عاصم).. لكمة من (حُذَيْفة).. ~ حُذَيْفة يقوم بعمل جبّار هنا ~.. جندي آخر.. تكفلت به يد (نور).. بلغوا نهاية الأكشاك، ومعها رأوا لسان بحري يتوغَّل في الجبال ويحيط به رصيف لتحميل وتفريغ السُفن، وبضعة جنود على مسافة بعيدة عنهم.

أشار الدكتور (مختار) نحو بداية اللسان البحري، قال:

- سنسير معه حتى نصل شاطئ البحر، و..

ودوى انفجار بعيد أضاء السماء بلون أحمر، وجعل الجميع ينظرون باتجاهه، وأردف الدكتور (مختار):

- يبدو أنَّ الجنرال (بول) لم يستطع إنقاذ مشروعه.

لم يجبه أحد وهم ينظرون للأفق الأحمر، فواصل:

- هيا بنا، من شاطئ البحر نتجه شمالًا، حتَّى نجد الطريق التي تقودنا إلى كهفنا.

ساروا معًا، وتحدَّث (محمد) ~ الحمد لله الذي وجد لنفسه شيئًا يقوم به في هذه المغامرة ~:

- هل سنعود إلى الكهف؟

الدكتور (مختار):

- كلَّا، سنختفي في مكان قريب لعدة أيام، بعد بضع ساعات سينبش الجنرال (بول) الجبال حجرًا حجرًا بحثًا عنَّا.

* * *

12- نهاية أبو جعدة

•اليوم الثالث..

ارتفع نباح الكلاب، والجميع يستمع إلى نباحها وهم مختبئون في تجويف كبير في الجُبّ (اَلجُبُّ: البئرُ العميقَة)، وضوء خافت من مصباح صغير يُضيء المكان، وقال الدكتور (مختار) وهو ينظر لأعلى:

- الجنرال (بول) لا يكِلّ ولا يملُّ، ماذا بعد الكلاب يا جنرال؟

محمد وهو ينظر لأعلى بدوره، وقلقًا سأل:

- ألن تشم الكلاب رائحتنا؟

الدكتور (مختار) وهو على حاله:

- لا تقلق، ستهرب بعيدًا.

نظر إليه الجميع نظرات مُبهمة، هذا الـ (مُختار) يُخفي أشياءً كثيرة..

لم يتكلّم أحدهم أو يُعقِّب على ما قاله، أو يسأله عن مغزاه.. ومكثوا صامتين.. يستمعون لنباح الكلاب.. وهي تقترب وأصوات الجنود وهم يتحدثون.. وأصواتهم وهم يبتعدون.. ~ هذا ما يفلحون فيه، الصمت، الثرثرة، الاختباء، لماذا لا يخرجون ويقاتلون كالرجال؟ ~..

- الذئاب.

قالها (محمد) ليلتفت إليه الآخرون والدهشة على وجوههم، ويسأله (فتحي) مستفهمًا:

- الذئاب؟! ماذا عنها؟

أشار (محمد) إلى الدكتور (مختار)، وقال كأنَّه يكمل حوارًا سابقًا:

- ما بعد الكلاب إلَّا الذئاب.

قال (نور) في نبرة ذات مغزى:

- كالذئب الذي أنقذتك منه.

التفت إليه الدكتور (مختار) كمن لدغته عقرب، هتف:

- أنقذته من ذئب؟!

يا سلام.. هذا هو.. أخيرًا وجدت فيهم من يسعى للمغامرة والإثارة.. لماذا أنقذه؟.. لماذا حرم (أبا جعدة) من وجبته؟..

وتابع:

- متى؟

أشار (نور) بإبهامه إلى وراء ظهره، وبتردد أجاب:

- قـ.. قبل.. بضعة أيا..

قاطعه الدكتور (مختار) بشراسة لا سبب لها:

- هل لمسته بشيء منك؟

نظرت له العيون مستغربة، وحال (نور) تلميذ يخشى أن يُخطئ، فتناله العصا، فقال بحذر:

- مَن؟ محمد أم الـ...

قاطعه الدكتور (مختار) بنفاد صبر:

- الذئب، هل لمسته بشيء منك؟

نور بحذر شديد:

- بـ..بحذاء..ئي..

انقضّ الدكتور (مختار) على قدم (نور) وأمسك بها بكلتي يديه، رغم ضيق التجويف الذي يجمعهم، وبلهفة أخذ يمسح الحذاء بيده من جميع الجوانب، وسط دهشة الآخرين واستغرابهم، ويسأل:

- بهذا الحذاء أم بآخر؟

نور وهو ينظر إليه مدهوشًا من ما يقوم به:

- هـ.. هذا هـ..

انطلقت تنهيدة ارتياح من الدكتور (مختار)، تنهيدة من بحث عن شيء طويلًا ووجده.. تنهيدة من عانى كثيرًا واستراح.. تنهيدة أطلقها مُغمض

العينين، ويترك قدم (نور) ويلقي بظهره على (عبد الرحمن) ويحسب أنَّه يتكئ على جدار المكان، ويقول بوله:

- هذا هو.. ~ حقوق الطبع محفوظة يا أستاذ (مُختار) ~ هذا هو.. ~ قلنا إنَّ حقوق الطبع محفوظة ~..

أمسك به (عبد الرحمن) قبل أنْ يقع عليه، وأمسك به هُنيهة، استعاد خلالها الدكتور (مختار) نفسه، ونظر إلى أعلى، قال:

- يجب أنْ أذهب الآن.

حُذَيْفة وقد ازداد دهشة:

- إلى أين؟

لم يجبه الدكتور (مختار)، بل أصاخ برهة، قال:

- لقد ذهبوا، سأذهب الآن.

التفت إليهم وأردف:

- رُبَّما أحتاج ساعة أو ساعتين للرجوع.

ولم ينتظر ردًا أو تعليقًا منهم، بل حبا نحو الطرف المُطل على قاع الجُبِّ، ثم تسلق جداره، ومضت دقائق حتَّى سمعوا الصخرة التى تُخفي الجُبَّ

عن الأعين تُزاح وضوء النهار يُضيء الجُبَّ، قبل أن يعود الظلام مرة أخرى.

- هذا الدكتور (مختار) يحمل الكثير من الأسرار!

قالها (حُذيْفة)، ليبوح بما يجول بأذهانهم، وعقَّب (عاصم):

- السؤال.. هل هذه الأسرار تعنينا، أم هي شأنه الخاص؟

جاءه الرد سريعًا على لسان (نور):

- حتمًا، هي شأنه الخاص.

مع جواب الأخير، تنبهوا لعلاقته بالدكتور (مختار)، ولاذوا جميعًا بالصمت.. انقضت أكثر من ساعة على مغادرة الدكتور (مختار)، لم ينبس أحدهم خلالها ببنت شفة، حتَّى علت شهقة قويّة، التفتوا لمصدرها فإذا (محمد) يمسك بصدره عند موضع القلب، مما جعل (عُمر) يهتف:

- ماذا حدث؟

قال (محمد) بألم واضح في ضوء المصباح الخافت:

- لا أعلم، فجأة شعرت بوخزة قويّة في قلبي.

هل هذا وقته يا أستاذ (محمد)؟.. أزمة قلبية!.. هل هذا وقته؟.. أم تريد سرقة بعض الأضواء بعد أن خرجت من هذه المغامرة زحفًا؟.. ألا يكفيك حرمان (أبي جعدة) المسكين مِن وجبته؟..

لم تتركه العيون القلقة، وهو يلتقط أنفاسه، والألم يتلاشى من وجهه، حتَّى هدأ ومعه استراحت القلوب الوجلة.. وعاد الصمت.. ~ لا تقل لي: إذا الكلام من فضة فالسكوت من ذهب، أعلم هذا، ولكنني أريد أفعالًا لا أقوالًا، لا صمتًا، لا ثرثرة، بل طاخ.. طيخ.. لكمه.. ضربه.. ركله.. هذا ما نريده.. ما يفعلونه جُبْن(بالله عليك، دع عنك التفكير في بطنك، أنا أقصد الخوف).. فرار.. تراجع.. حسبنا الله ونعم الوكيل.. حسبنا الله ونعم الوكيل.. ~

- سأخرج من هنا.

قالها (محمد) واعترض (فتحي):

- كلَّا، ستكشف مخبئنا.

محمد وهو يحبو للخروج:

- سامحني، لا استطيع، أشعر بأنني اختنق.

حاول (عُمر) أن يوقفه، ولكن إشارة من يد (عاصم) مع نهرة خافتة، جعلته يتراجع.. وعلا صوت (عاصم):

- خذ الحيطة والحذر، تأكَّد أنْ لا أحد في الجوار ولا طائرات في السماء.

دون أن يتوقف، ردَّ (محمد) بخفوت:

- سأفعل.

غادر (محمد) الجُبَّ، وأسرع (عاصم) يحبو..

نور:

- إلى أين؟

عاصم:

- سأتبعه، قد يحتاج مساعدة.

حُذَيْفة:

- لا تفعل، أنا سأصحبه.

* * *

سار (محمد) الهوينى، وهو ينظر حوله وإلى السماء، خشية أن يراه أحد، و.. سمع صوت حصاة خلفه مما جعله يلتفت بسرعة، ليجد (حُذيْفة) يسير في اتجاهه، انتظر إلى أن بلغه (حُذيْفة)، وبلا كلام سارا معًا.. قطعا مسافة لا بأس بها حين قال (محمد):

- لقد أدهشتني أفعالك، كُلّ ما قمت به كان غريبًا.. عجيبًا، كأنَّك شخص آخر، وما زلت لا أفهم ما حدث بينك وبين الجندي، كيف أفقدته الوعي؟ تنويم مغناطيسي؟!

لم يجبه (حُذيْفة)، وواصلا السيْر و(محمد) ينتظر جوابًا، فجاءه طلبًا:

- أتكتم سرًّا؟

نظر إليه (محمد)، وقال:

- سر؟!

هزَّ (حُذيْفة) رأسه إيجابًا، فتابع (محمد):

- سأدفنه في الصحراء تحت سحابة.

ابتسم (حُذيْفة) للتعبير، وسكت هُنيهة جعلت (محمد) يلتفت إليه يستحثه، وقال الأوّل:

- لم يكن أنا.

نظر إليه (محمد) في عدم فهم، وببلاهة قال:

- ماذا؟

خالط هدوءه العصبية و(حُذيْفة) يقول:

- لست أنا من ذهب معكم، أنا لم أفارق مكاني، لقد استيقظت فجرًا، ولم أجد أحدكم، فانتظرت في مكاني حتى رأيتكم قادمين قبل شروق الشمس.

توقف (محمد) عن السير وهو ينظر إلى (حُذيْفة) مذهولًا، الذي توقف بدوره ينظر إليه..

يا سلام.. هذا هو.. هذا هو.. غموض.. هذا ما تحتاجه هذه المغامرة.. يا سلام.. هذا هو.. هذا هو..

- ماذا تعني بأنَّه ليس أنت؟ مَن يكون إذًا؟

هتف بها (محمد) ذاهلًا.. مُستنكرًا.. ولكن.. هناك شيء في أعماقه يقول إنَّ (حُذيْفة) صادق.. لقد شعر بهذا الأمر.. شعر بأنَّ (حُذيْفة) ليس (حُذيْفة).. ولكن المنطق جعله يُنكر ذلك.. رُبَّما لاستحالة هذا الأمر..

أمَّا (حُذيْفة) فلم يبق سوى العصبية في نبرته:

- لا أعلم، لا أعلم، لا أعلم.

لم يعرف (محمد) ماذا يقول، وفتح الله عليه:

- ولماذا لم تخبرنا حين أتينا.

حُذيْفة:

- وماذا أقول لكم؟ حين تجد ستة أشخاص يحيطون بك، ويسألونك كيف سبقتهم إلى مكان لم تغادره، ويسألونك ويتحدثون عن أمور وغرائب قمت بها، وأنت تعلم يقينًا أنَّك لم تفعلها، ويمدحونك على أفعال لم تفعلها، تستطيع أن تنكر قولًا واحدًا أو اثنين، لكن ستة أقوال اجتمعت واتفقت على أشياء لم أفعلها، واحد مقابل ستة، النتيجة محسومة سأكون كاذبًا أو مجنونًا، السكوت أفضل..

لم يترك الذهول (محمد) وهو يرى (حُذيْفة) يواصل سيره، وشعر الأخير به وهو يعود للسير بمحاذاته ويقول:

- صدقت، السكوت أفضل، انا لا أصدق ما تقول، رغم شعوري بأنَّ هناك أمرًا مختلفًا فيك في تلك الليلة، وكتمان هذا السّر خير من الاتهام بالكذب أو الجنون.

بعد صمت قال (حُذيْفة):

- هل تظن أنَّ الجنرال يئس من العثور علينا..

محمد:

- طالما أنّه يرسل حملات التفتيش، فهذا يعني أنَّ الأمل يراوده في العثور علينا.

وافقه (حُذيْفة) بهزَّة رأس، وقال:

- ما رأيك بهذا المدعو الدكتور...

قاطعته شهقة قويّة من (محمد)، جعلته يلتفت إليه ثم إلى حيث ينظر..

* * *

أبا جعدة.. أبا جعدةاااااا.. لا يا أبا جعدة.. لا يا أبا جعدة..

يا وحيد هذه الجبال.. يا غريب الأهل والأصحاب.. يا ملح هذه الدنيا.. يا مُلهم الكُتَّاب والشعراء.. يا مصدر رزق التعساء وضعاف الموهبة.. يا سفير الآخرة.. ليس هذا يومك يا أبا جعدة.. ليس يومك.. قتلك هذا المجنون.. هذا المسعور..

كان الدكتور (مختار) يسلخ جلد (أبا جعدة) سلخًا ورأس (أبي جعدة) يهتز مع حركات الدكتور (مختار) وهو يقوم بعمله بوحشية وشراسة في إزالة الجلد عن البدن..

مصعوقان.. مذهولان.. وقفا (محمد) و(حُذَيْفة) ينظران إلى ما يفعله الدكتور (مختار).. ويد خشنة قاسية تعتصر قلب (محمد).. وحزن يجيش في صدره وهو ينظر إلى عيني (أبي جعدة) الشاخصتين..

ولكن عيني (أبي جعدة) تكلمتا رغم سحابة الموت.. لا داعي للحزن.. لقد استراح.. استراح من هذه الجبال الجدباء.. من الجوع.. من العطش.. من مطاردة الفرائس الهزيلة.. من الفرار من خصومه وأعدائه.. من هذا العالم المهزلة.. متى أصبحت السبعون سن البلوغ؟.. منذ متى تمارس الذئاب الديموقراطية؟.. منذ متى تسأل الذئاب فريستها أن تعطيها قطعة منها؟.. ارتاح من قانون "يأكل الذئب من الغنم الشاردة".. ارتاح وارتاح وارتاح من هذه الدنيا.. من كل ما فيها..

جذبه (حُذَيْفة) من مرفقه، ليستديرا عائدين من حيث آتيا، والصمت رفيقهما.. صوت نشيج جعل (حُذَيْفة) يلتفت إلى رفيقه، ويسأل مدهوشًا:

- ماذا.. ماذا هناك؟.. ماذا حدث؟

وجد رفيقه يضع إبهامه وسبابته في آماق عينيه، كأنَّه يمنع دمعًا من النزول، وصوته يأتي خافتًا أقرب للنحيب:

- لا عليك، شعور سخيف طغى على قلبي.

مرَّة أخرى جذب (حُذيْفة) مرفق رفيقه ليوقفه هذه المرة، ويهتف:

- بالله عليك، ماذا هناك؟

توقف (محمد)، نشج، قال:

- أبو جعدة.

سأله (حُذيْفة) والدهشة على وجهه:

- مَن (أبو جعدة) هذا؟

دون أن يخرج إبهامه وسبابته من مآقيه، أجاب (محمد):

- هذا الذئب.

حُذيْفة:

- مَن؟ هذا الذئب؟ اسمه (أبي جعدة)؟! هل.. هل تعرفه؟!

لا يدري (محمد) أيضحك أم يبكي، رغم ذلك أجاب:

- أعرفه، وتحدثت إليه.

كمن يخاطب مجنونًا خطرًا، بهدوء.. بحذر قال (حُذيْفة):

- تحدثت إليه! إلى ذئب؟!

دون أن يترك مآقيه، هزَّ (محمد) رأسه نفيًا، قال:

- لم يكن حديثًا، بل إحساسًا بحديث يدور بيني وبينه، كأنَّه حوار بين عقلين.

لا حول ولا قوة إلا بالله.. لقد جُنَّ (محمد).. لا حول ولا قوة إلا بالله..

وبهذا المنطق سأل (حُذيْفة) بحذر أكبر، وهو ينظر حوله بحثًا عن نجدة ما:

- حوار؟! حول ماذا؟

محمد:

- أشياء كثيرة، القوانين التي تحكم الذئاب، الديموقراطية، الكهرباء، المليار الذهبي ، ابن عمه...

قاطعه (حُذيْفة) وقد طار شعاعًا:

- ابن عمه؟!

محمد:

- نعم، ابن عمه الذي يحاول الهجرة إلى أمريكا...

حُذيْفة:

- أمريكا!

لم يعد هناك مجالًا للتعقل، عليه الفرار من رفيقه، لقد جُنَّ هذا المسكين.. جاء معهم (محمدًا).. وسيعود (مُحًا).. لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.. لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم..

و كأنَّ (محمدًا) أدرك ما يدور في ذهن رفيقه، فقال:

- لست مجنونًا، كان إحساسًا صادقًا عميقًا بذلك الحوار..

ربَّت (حُذيْفة) على عضده ~ عضد (محمد) ~، ووضع أكبر قدر من الهدوء في صوته:

- بالتأكيد لست مجنونًا، أنت أعقل من كُلّ الخلائق.

ولكن نبرته قالت بوضوح أنت مجنون ومكانك مستشفى الأمراض العقلية.. و...

وقاطع (محمد) أفكاره بالقول:

- أعلم أنَّ هذا الأمر صعب التصديق، بل أقرب للجنون، حتَّى وأنا انظر إلى عينيه قبل قليل، كانتا تقولان لي أن لا أحزن، وأنَّه استراح من هذه الدنيا.

بحذر وهو يتراجع خطوات للوراء، قال (حُذيْفة):

- أبو جعدة أخبرك هذا؟ وهو ميت؟ رُبَّما هذا هو ابن عمه؟!

هزَّ (محمد) رأسه نفيًا، قال:

- بل هو (أبو جعدة) نفسه، لقد عرفته.

تراجع أكثر، قال:

- عرفته؟! كيف؟

أشار (محمد) إلى قلبه، قال:

- هذه الرِحْلة بدأت بداية غريبة عجيبة ونحن لا زلنا في بدايتها.

حُذيْفة وقد اطمأن لوجود مسافة كافية للفِرار:

- الحق ما تقول، كل ما سمعته منكم.. ومنك، يجعلني أتساءل، هذه هي البداية، ماذا عن فيما بعد..

محمد:

- سأعود، لن أمضي معكم..

أراد (حُذيْفة) أن ينكر عليه هذا الأمر، ولكنَّه نفسه ينتابه هذا الشعور.. هذه الرحلة.. ما زالوا في بداية البداية.. وهذه الأمور الغريبة الغامضة تحيط بهم.. وتجعله يفكر العودة إلى بيته.. حيث الأمن والأمان.. والأمور الواضحة.. بدلًا من الدكتور (مختار)..

ذكرنا القط فجاء "ينط".. ارتفع صوت الدكتور (مختار) يقول:

- ماذا تفعلان هنا؟

التفتا إليه ليجداه واقفا ينظر إليهما، وقد لفَّ جلد (أبي جعدة) في حزمة يحملها بيده الملوثة بالدماء والشخم، وفتح الله على (حُذَيْفة) بالقول:

- محمد يرغب في العودة.

هزَّ الدكتور (مختار) كتفيه، قال:

- هذا شأنه، ليفعل ما يحلو له.

وواصل سيره، ثم قال كأنَّه تذكر شيئًا:

- سنغادر الليلة بعد غروب الشمس.

*** * ***

- ألا تخشى مجيء الجنرال وجنوده؟

سأل (عاصم) وهم يتعاونون على إخراج أشياءهم من الجُبّ إلى الكهف، وأجابه الدكتور (مختار):

- لا يهمني أمره الآن، ما يهمني هو أن نغادر الليلة وبسرعة.

بصوت مملوء بالرجاء، سأل (نور):

- ألن ننتظر (عصمت)؟

عصمت؟ ومن هذا هو الآخر؟!..

أجابه الدكتور (مختار):

- لن ننتظر أحدًا، سنغادر فور مغيب الشمس.

محمد والغيظ في نبرته:

- ماذا عنّي؟

التفت إليه الدكتور (مختار)، قال:

- سينتظر معك رجل هنا، وخلال يومين سيحضر النوتي ومعه آخر، سيعود النوتي بك، وسيأتي الرجل بالآخر إلينا.

دخلوا الكهف بأغراضهم، وسأل (عُمر):

- أليس غريبًا أن يترك الجنرال أغراضنا ولم يأخذها أو يدمرها؟

أجابه (عبد الرحمن):

- رُبَّما لأنَّه يعلم أنّنا تركنا الأشياء التي لا تهمنا، وحملنا معنا ما يهمنا فقط.

فتحي:

- وكيف سنغادر؟ هل هناك من سيأتي ليحملنا أم سنسير على أقدامنا؟

الدكتور (مختار):

- بعد غروب الشمس ستعرف.

* * *

13- الختام

كثير من العناق، الوجوم، عبارات الأسف، كلمات الوداع، وهم يودعون (محمدًا) بعد مغيب الشمس أمام كهفهم، ومجموعة من البدو أناخوا جمالهم في الشعب المؤدي إلى الكهف، وانهمكوا في حمل الأشياء إلى ظهور الجمال.

حتى ارتفع صوت زعيم البدو يخبرهم بأنَّه جاهز للمغادرة.. عادت الأصوات ترتفع بالوداع من جديد..

قال (حُذيْفة):

- سأفتقدك رغم معرفتنا القصيرة.

نظر (محمد) إلى الهيئة المظلمة لـ (حُذيْفة) وهو في الثياب البدوية (جلابية وكُوفيَّة وعِقال)، وبابتسامة أخفاها الظلام، قال:

- وأنا كذلك.

وفوجئ بـ (حُذيْفة) يحتضنه بقوة من جديد ويتركه بلا كلام، وجاء صوت (نور):

- أنا لا أعانق، ولا أحب الوداع، وكم أتمنى لو تأتي معنا.

محمد:

- شكرًا.

نور:

- حبًا وكرامة.

محمد مستهجنًا:

- مرَّة أخرى؟

ضحك (نور):

- هل رأيت ذلك؟ لا أحد يغتاظ من جملتي هذه سواك، لن أجد من أغيظه.

محمد:

- لا تقلق، حضورك كافٍ.

بخصوص هذا الـ (نور).. أليس على عاتقه توثيق هذه الرحلة؟ لم أره يلتقط صورًا أو يكتب أشياءً!.. ماذا يفعل إذًا؟.. ما حاجتنا إليه؟.. لم لا يعود مع (محمد)؟.. لا أحد يحتاجه.. كما ترون.. أنا أقوم بتوثيق كل شيء.. لا أترك شاردة ولا واردة إلَّا وكتبتها.. ما حاجتنا إليه؟..

الدكتور (مختار):

- سيبقى (سويلم) معك إلى حين حضور النوتي الذي سيعود بك، وسيحرص على حمايتك وخدمتك قدر استطاعته.

محمد:

- شكرًا جزيلًا.

صافحه الدكتور (مختار) وهو يقول:

- كم أتمنى لو تراجع نفسك وتأتي معنا.

محمد:

- أتمنى لكم التوفيق، ولكن هذه ليست رحلتي.

يا سلام، الآن علمت ذلك! بعد أن اتعبتني في وصفك ووصف أفعالك، (محمد) فعل كذا.. (محمد) قال كذا.. يا أخي.. حسبنا الله ونعم الوكيل.. حسبنا الله ونعم الوكيل..

محمد:

- ماذا عن البنادق والأسلحة وثياب الجنود؟ ماذا سأفعل بها؟

الدكتور (مختار):

- لن تفعل شيئًا، زعيم هؤلاء الرجال أخذها جميعًا، وهو يعلم كيف التخلص منها.

وأردف الدكتور (مختار):

- لا تقلق من عودة الجنرال وجنوده، الكلاب كانت السهم الأخير في جعبته.

محمد:

- هذا لا يمنع أخذ الحيطة والحذر.

وافقه الدكتور (مختار):

- بالتأكيد، بالتأكيد، وستجد (سويلم) في خدمتك وحمايتك، إنَّه ابن هذه الجبال ويعرف أسرارها وخباياها.

ومدَّ الدكتور (مختار) يده بحزمة صغيرة في الظلام، قال:

- أريد منك أن تأخذ هذه، وأن ترسلها إلى العنوان..

مدَّ (محمد) يده ليستلم الحزمة، فإذا بها حقيبة صغيرة، في حين أخرج الدكتور (مختار) ورقة من جيب الصديري، وهو يتابع:

- إلى هذا العنوان.

وأكَّد:

- يجب أنْ تفعل هذا في أقرب فرصة، هذا سيصرف عنَّا الانظار لبعض الوقت.

*** * ***

استمع الجنرال (بول) إلى الأصوات التي تأتيه من جهاز التصنت، الذي غرسه في المتاع الموجود في الكهف، كانت رمية موفقة، صحيح أنَّه لم يتوقع لها حظًا من النجاح، ولكنها نجحت، الآن يستطيع أن يطارد الدكتور (مختار) ويعرف مكانه أينما ذهب، وسينتظر حتَّى يطمئنوا جميعًا أنَّهم فرّوا من قبضته.. ثم ينقضّ عليهم.. في الوقت المناسب.. وفي المكان المناسب.. بنسخة أفضل من جنوده.. أفضل وأقوى بكثير مما يتخيله الدكتور (مختار) ومن معه..

* * *

راقب (سامح) أخيه وهو يلعب تلك اللعبة المملة في حاسوبهم في غرفتهم المشتركة، ويعيد المحاولة المرَّة تلو الأخرى، قال بملل:

- لماذا تلعب هذه اللعبة المملة؟

وأردف بإغراء:

- لماذا لا تلعب ألعاب القتال والمغامرة، (كاونتر سترايك وفري فير وببجي)؟

أجابه (عاصم) دون أن يلتفت إليه:

- لأنَّ هذه ليست لعبة، أنَّها محاكاة حقيقية لقيادة الطائرات.

نظر (سامح) إليه وهو يحاول الارتفاع بالطائرة من جديد، سأل:

- كيف تعلم أنَّها محاكاة حقيقية للطيران؟

عاصم:

- لأنني رأيت ما يماثلها في الجيش، والطيَّار صديقي شرح لي بعضًا مما تراه على الشاشة.

سامح والفضول واللهفة في كلماته:

- هل، هل تفكر في شراء طائرة؟

عاصم وهو يعيد المحاولة بنجاح أكبر من سابقه:

- ولم لا؟ حين أمتلك ثمنها سوف أشتريها.

ترك (سامح) سريره واقترب منه، سأل:

- وأين ستضعها؟

عاصم:

- أين سأضعها؟ في المطار المُخصص لها!

سامح مقترحًا ببراءة:

- لماذا لا تشتري طائرة (هِلِيكُوبتر)؟ تستطيع وضعها على سطح منزلنا، في الألعاب والأفلام يضعونها على السطح، بهذا تكون قريبة منك وتذهب أينما تشاء وقتما تشاء.

التفت إليه (عاصم) مُبتسمًا، قال:

- سأفعل، ولكن علينا أن نجمع ثمنها أوّلًا.

سأله (سامح) بلهفة:

- كم ثمنها؟

عاصم ضاحكًا:

- ليس باهظًا، بضعة ملايين من الدولارات فقط.

*** * ***

راقب (محمد) الجميع وهم يتجهون إلى الجِمال وركب كل منهم جملًا وارتفعت أصوات البدو تحث الجمال على النهوض، ونهضت الجمال تلقي بحملها خلفًا.. أمامًا.. خلفًا.. ثم تستقيم.. وامتطى البدو جمالهم ليصنعوا جميعًا قطارًا طويلًا يمتد على طول الطريق من الكهف إلى أصل

الجبل، وتعالت أصوات الوداع من جديد، و.. شاهد الظلام وهو يبتلع الجمال الواحد تلو الآخر.. حتَّى اختفى الأخير.. والتفت إلى (سويلم) الواقف جواره بثيابه البدوية وينظر بدوره إلى القافلة وهي تغادر.. والتفت إليه (سويلم) وقال بإغراء:

- شاي؟

* * *

سارت القافلة في طريقها بين الجبال، في الظلام الدامس، لا يرى أحدهم سوي خيالات لأشياء تبعد بضع خطوات عنه، ولا يُسمع صوتًا وأعضاء الرحلة يفكرون في مغامرتهم الصغيرة.. في (محمد) الذي قرر الرجوع.. في (حُذيْفة) وما يُخفيه.. ما قصّة الرؤى أو الأوهام التى تصيبهم في حضوره؟.. لماذا أحيانًا يتخيلونه على غير هيئته؟.. بل لماذا يبدو لسواهم على غير ما يرونه؟.. الدكتور (مختار).. الذي يضيف غموضًا كل حين.. في هذه القافلة.. في هذه الرحلة.. التي لا يعلمون كيف ستنتهي.. هل سيصلون إلى الحقيقة؟.. متى؟.. وكيف هي الحقيقة؟.. هل

هناك حافة لهذا العالم؟.. هل سيصلون إلى جبل قاف؟.. الجبل الذي يُقال أنَّه يرتفع إلى السماء الدنيا.. أم سيعودون إلى نقطة البداية؟.. كم ستستغرق رحلتهم؟.. ماذا سيحدث لهم؟.. الدكتور (مختار) بدوره يفكر في ما حدث.. لقد عاد كما وعد.. وانتقم.. صحيح أن الصدفة لعبت دورًا مساعدًا في الأحداث.. هناك مَن هاجم المبنى في نفس الوقت.. وأفقد الجميع داخل المبنى وعيهم قبل حضورهم.. مَن هو؟.. ماذا يريد؟.. ليس مهمًا.. المهم أنَّه حقق ما يريد.. وفريقه لا بأس به.. صحيح أنَّه أقل مما يتمنى بكثير.. ولكنَّه أفضل مما توقع أيضًا.. لحمهم طري.. عظمهم غضٌّ.. يحتاجون الخبرة.. والمزيد من القوة.. وهو سيعطيهم الخبرة.. والقوة.. لكن في البداية يجب التأكد من ولاءهم.. من الثقة فيهم.. من عزمهم على المضي إلى النهاية.. نهاية العالم.. و(حُذيْفة)؟.. أنَّه يخفي سرًّا.. ومَن لا يُخفي؟.. إنَّه يحمل جبلًا من الأسرار.. لذللك لا يسأل الناس عن أسرارهم.. ولا يسعى لكشفها.. و(محمد).. لقد خذله (محمد).. وهو يحتاج (محمد).. يحتاج إلى مهندس سفن.. صحيح أنَّ سفنه تختلف عمَّا اعتاده (محمد).. ولكن المبادئ العامة واحدة.. سيبحث عن بديل له.. هناك عشرات من المتقدمين للمسابقة.. سيبحث مرَّة أخرى في ملفاتهم..

وحتمًا سيجد بديلًا.. و رُبَّما أفضل.. فهو وبخلافهم جميعًا يعلم أنَّ رحلتهم لم تبدأ بعد.. ما زالوا في البداية.. بداية البداية.. و..

تستمر الرحلة..

* * *

ما بعد الختام

فتحي:

- هل تعلم حجم الشمس[9] إلى الأرض؟

محمد:

- أعلم.

فتحي:

- حجمها يبلغ مائة وتسع مرَّة ضعف الأرض.

محمد:

- أعلم.

فتحي:

- هل تعلم أنَّ الضوء يسير في خطوط مستقيمة.

---

[9] الشمس نجم يتكون من الهيدروجين (يبلغ ثلاثة أرباع مكونات الكتلة الشمسية) أما البقية فهي في معظمها هيليوم مع وجود مجموعة من العناصر الأثقل تشمل الأكسجين والكربون والنيون والحديدوعناصر أخرى.
وهي أحد نجوم مجرتنا (مجرة التبانة)، التى تحتوي نحو 200 مليار نجم،وتعتبر أقرب النجوم إلى الأرض، كما أنَّها النجم المركزي للمجموعة الشمسية. ويبلغ قطرها تقريًبا 1,392,684 كيلومتر، وهو ما يعادل 109 ضعف قطر الأرض ، وكتلتها تعادل 330,000 ضعف كتلة الأرض وهو ما يشكل نسبة % 99.86 من كتلة المجموعة الشمسية، يستغرق وصول ضوء الشمس إلى الأرض نحو 8 دقائق. (المصدر: ويكيبديا العربية ، بتصرف)

محمد:

- أعلم.

فتحي:

- هل تستطيع أن تفسر لنا هذا اللغز؟ شمس أكبر من الأرض بمائة وتسع مرَّة، يسير ضوءها في خطوط مستقيمة ليضرب الكرة الأرضية، كيف تتفاوت درجات الحرارة على الكرة الأرضية بهذا النمط الشاذ، يصل إلى أكثر من ثلاثين درجة في منطقة خط الأستواء[10]، وإلى أقل من

---

[10] خط الاستواء خط وهمي يقع على دائرة عرض جغرافي (صفر) يلتف حول كوكب الأرض أفقيًا ويقسم الأرض إلى قسمين: نصف الكرة الأرضية الشمالي ونصف الكرة الأرضية الجنوبي.
لأن الشمس تكون عمودية على خط الاستواء(في الاعتدال الخريفي والاعتدال الربيعي) أو قريبة من ذلك (في الاعتدال الصيفي تميل نحو مدار السرطان وفي الاعتدال الشتوي تميل نحو مدار الجدي) فأن درجة الحرارة والرطوبة يكونان مرتفعين طوال العام مما يجعله صيف بلا نهاية، حيث تكون درجة الحرارة طوال العام بين (16 - 38) درجة مئوية تبعا للاعتدال، بمتوسط مقداره 27 درجة مئوية، والفرق بين درجة حرارة النهار والليل يزيد عن عشر درجات، وتسقط الأمطار طوال العام وتتميز بانتظام أوقاتها لكل فترة من السنة(المصدر: ويكيبديا العربية وأخرى).

الصفر في القطب الشمالي[11] وضوء الشمس يضربهما معًا في نفس اللحظة؟

كوّر (محمد) قبضته، قال:

- لا تنس أنَّ الأرض كروية، أقرب نقطة منها إلى الشمس ستكون مرتفعة الحرارة والبعيدة ستكون منخفضة الحرارة ، محيط الكرة الأرضية هو 40،000 كيلومتر، إذا افترضنا أنَّ خط الاستواء عند النقطة صفر من محيط الأرض وأنها أقرب نقطة للشمس، فالقطب

---

[11] القطب الشمالي منطقة في المحيط المتجمد الشمالي شمال الكرة الأرضية، وهو ثاني أبرد منطقة في العالم بعد القطب الجنوبي.

ليست ملكًا لأحد، وتطل عليها خمسة دول هي روسيا، الدنمارك ،النرويج، كندا، الولايات المتحدة الأمريكية.

نهاره ستة أشهر يبدأ تقريبًا بيوم الاعتدال الربيعي (19 مارس) وينتهي تقريبًا بيوم الاعتدال الخريفي (24 سبتمبر) ليبدأ ليله وهو ستة أشهر أيضًا وينتهي بابتداء نهاره ، فالشمس تشرق وتغرب مرة واحدة في السنة.

للتوضيح : نهاره كنهار تقليدي مُطَّ ليصبح ستة أشهر بدلًا من اثنتي عشرة ساعة (في المتوسط) ، يستغرق نهارنا ست ساعات من شروق الشمس للوصول للظهيرة، في حين النهار القطبي يستغرق ثلاثة أشهر تقريبًا للوصول للظهيرة، وتتحرك الشمس في دوائر، ترتفع عن الأفق تدريجيا حتَّى تصل أقصى ارتفاع لها في الأفق عند الظهيرة ووقتها قبل الإنقلاب الصيفي (21 يونيو)، ثم يبدأ الزوال، وكذلك ليله.

متوسط درجة الحرارة في الشتاء هو 34 درجة مئوية تحت الصفر، و يبلغ المتوسط صفرًا صيفًا.

الحياة فيه قليلة ونادرة، وتشمل كائنات معدودة كالدب القطبي والثعالب القطبية وبعض الطيور وأنواع من الأسماك.

بسبب طبيعته وعدم وجود دائم للإنسان في القطب الشمالي، فليس له منطقة زمنية معينة، وتقوم البعثات الاستكشافية باختيار أي منطقة زمنية تخدم أغراضها.

من أهم ظواهره الشفق القطبي، وهو شفق الضوء يظهر جهة الغرب بعد غروب الشمس. وأشهر ما يرتبط به هو نجم الشمال أو النجم القطبي ، الذي استخدمه البحارة والمسافرون قديمًا لتحديد اتجاه الشمال. (المصدر: ويكيبديا العربية ، بتصرف)

الشمالي عند النقطة 10،000 كيلومتر على محيط الأرض، آخر نقطة تواجه الشمس من الشمال، نحن نتحدث عن فرق في المسافة يُقارب 10،000 كيلومتر.

فتحي:

- هذا صحيح، ولكن نسبة لحجم الشمس ومسافتها وضوءها وحرارتها، والمسافات الكونية لا يُذكر، هذا لا يفسر التفاوت الكبير في درجات الحرارة، رُبَّما تتفاوت بمقدار عشر درجات أو أكثر قليلًا.

محمد:

- ماذا تقصد؟

فتحي:

- أعني أنَّ الشمس قد لا تكون بهذا الحجم الذي يدَّعونه ولا بهذه المسافة البعيدة.

محمد:

- مرَّة أخرى، ماذا تعني؟

فتحي:

- أعني أنَّ تفسير التفاوت الكبير في درجات الحرارة يرجع إلى الحجم الصغير للشمس وقربها من الأرض المستوية، وليس كروية الأرض.

محمد:

- مسألة كروية الأرض حسمها (إراتوستينس) في تجربته الشهيرة (225 ق. م) بقياس الظِل لعمود في (أسوان)، وظل لعمود آخر بنفس الارتفاع في (الإسكندرية)، في أطول يوم من السنة - يوم الإنقلاب الصيفي- وهو الحادي والعشرون من يونيو، اليوم الذي يكون فيه عمود (أسوان) بلا ظل بخلاف عمود (الإسكندرية)، وعلى أساسه افترض كروية الأرض وقدّر محيط الأرض بأربعين ألف كيلومتر[12].

رفع (فتحي) سبابته، قال:

- هذا صحيح، ولكنَّ مسألة الظل جعلته يفترض أنَّ الأرض كروية وقد نسي أو تجاهل الاِحتمالات الأخرى.

---

[12] إراتوستينس (أر أتوسطين في بعض المراجع) جغرافي وشاعر وعالم فلك ومنّظر موسيقي يوناني، وُلد 276 ق.م ومات 195/194 ق.م تقريًبا، وُلد وتعلم في قورينا (جزء من ليبيا الحالية) ، وصار كبير أمناء مكتبة الإسكندرية.
اشُتهر بكونه أول شخص يحسب محيط الأرض (التجربة التي ذكرناها) ، وكان حسابه دقيًقا، وهو أوّل من حسب ميل الأرض المحوري،وابتكر أول إسقاط عالمي للعالم، متضمًنا دوائر العرض وخطوط الطول بناء على المعرفة المتاحة في عصره، وهو مؤسس علم التسلسل الزمني، حيث راجع تواريخ الأحداث الرئيسة لحرب طروادة شبه الإسطورية، وفي نظرية الأعداد، وضع (غربال إراتوستينيس)، وهي طريقة فعالة لتحديد الأعداد الأولية. (المصدر: 1-ويكيبديا العربية، 2-الملاحة وعلوم البحار عند العرب، د. أنور عبد العليم، عالم المعرفة 13)

محمد:

- وهي؟

فتحي:

- إنَّ الأرض مستوية والشمس صغيرة وقريبة من الأرض، هذه الاحتمالات ستُعطي نفس النتائج، سيختفي ظل عمود (أسوان) ويظهر ظل عمود (الإسكندرية).

محمد:

- هذا يفتح الباب لمسألة تقدير حجم الشمس وبُعدها عن الأرض، كيف تم ذلك؟ حتى نستطيع الأخذ بأحد الرأيين...

...

تمت بحمد الله

الرواية القادمة

وادي الصمت

كما تعلم أنت.. وأنا.. والجميع.. أننا حين ندخل المكتبة ، يجب المحافظة على النظافة والنظام والهدوء، وإذا أصدر أحدنا ضجيجًا.. فسيأتي أمين - أو أمينة - المكتبة ليخبرنا وابتسامة لطيفة على وجهه بضرورة الحفاظ على الهدوء وعدم إزعاج الآخرين، فإن كررنا الضجيج فسيأتي أمين - أو أمينة - المكتبة ليخبرنا والصرامة على وجهه بضرورة الحفاظ على الهدوء وعدم إزعاج الآخرين ، فإن كررنا الضجيج فسيأتي أمين - أو أمينة - المكتبة ومعه حارس الأمن ويطلب منَّا مغادرة المكان.

أخبرتك هذا كي تعلم أنَّ هذا لا علاقة له بالقصة القادمة، لا من قريب.. ولا من بعيد.. فإذا كنت تعاني من متلازمة التفكير الزائد، فأرجو منك حذف هذا الاحتمال من الاحتمالات التي تدور في ذهنك.. الأمر باختصار شديد، الجماعة (مُختار ومن معه) سيدخلون واديًا، تقول كيف سيصبح هذا رواية؟ فأقول لك: الذي جعلني كاتبًا وجعلك قارئًا، سيجعلها روايــة..

مؤلفات للكاتب
إبراهيم محمد

سلسلة الرِحلْة





رِحْلة إلى حدود العالم.. لمعرفة الحقيقة
وإجابة سؤال.. أكروية هي أم مسطحة؟

1- **الرحِيل** ج1
2- **القصابون** ج2

سلسلة الغَيْهَبٌ





حين تغْشى الخُرافة الحقيقة
ويصبح الواقع ضربًا من الخيَّال

1- **بدايات مُخيفة**
2- **النور والظَلام**

سلسلة عالم جديد





عالم ينهض من رماد حرب طاحنة
يبني حاضره.. وينظر مستقبله

1- **النهوض**
2- **العودة إلى الصفر (قريبًا)**

سلسلة البُستْان





روايات تبحث لها عن ملجأ

1- **رواية خلاعيّة**
2- **مملكة الأحزان (قريبًا)**

البُسْتان
1

سلسلة ما بعد النهاية

مع كل نهاية بداية جديدة

1- **كنوز الملك سليمان**

للتحميل من موقع نور للكتب

www.noor-book.com/u/المنتهى/books

أو التحميل من موقع أرشيف

archive.org/details/@user615172


Wordsonsnowtablet@gmail.com


Wordsonsnowtablet

الرحْلة



2

الرحْلة - المغامرة رقم 2



2

القصَّابون

إبراهيم محمد

القصَّابون

هنا نستكمل ما حدث في الرواية السابقة :

- اختفاء (عاصم).
- مقتل (عمر).
- عثور الدكتور (مختار) و(فتحي) على بقايا بشرية.
- المواجهة بين (محمد) والذئب.
- عبد الرحمن يستمع إلى (حذيْفة) عن مقتل (عمر).
- نور ينصرف غاضبًا بعد تقريعه من قبل (عبد الرحمن).

ونحاول معرفة ما حدث لهؤلاء جميعًا، بالإضافة إلى سر أصوات الطوافة والرصاص.

لا أريدك أن تبتهج كثيرًا، لقد أصابني الإحباط من ردود أفعالهم، فكن مستعدا لخيبة الأمل في أحداث كثيرة عظيمة.. وحسبنا الله ونعم الوكيل..

الرحْلة

رحلة إلى حد و العالم.. لمعرفة الحقيقة

وإجابة سؤال.. أكروية هي أم مسطحة؟

الرواية القادمة

وادي الصمت



إبراهيم محمد